

مجلة الكلمة الطبية

العدد السابع عشر

كلمة الكلمة

جيل على حافة الضياع

الانتقال الفجائي بين بينتين مختلفتين تماماً في القوانين والأعراف والتقاليد وفي النظرة العامة للحياة، يسبب إرباكاً شديداً لحياة الإنسان المنتقل بين هذين العالمين، فهو لا يعرف نمط الحياة الجديدة وأساليبها، وإن عرفها وصل إلى مفترق طرق: هل ينسجم مع الواقع الجديد؟ أم يبقى خارج الواقع غريباً عنه؟ وإذا كان مسلماً ملتزماً، فكيف يتعامل مع هذا الواقع الجديد دون أن يخسر من دينه شيئاً ودون أن يحجر على نفسه في زاوية ضيقة؟ وهل اعتزال الواقع والسلبية في التعامل معه من الالتزام والتدين، أم أن الأمر غير ذلك؟

وقبل ذلك ما هو الالتزام والتدين؟

التدين هو الالتزام بشرع الله وجعله القانون الذي يعيش به الإنسان الملتزم في الحياة، فإذا واجه هذا الإنسان واقعه الجديد، فهل يلجأ إلى السلبية والاعتزال؟ أم أن هناك ما يمكن التحرك به في الواقع؟ الإجابة على هذه الأسئلة تعتمد على فهم حقيقة الشرع، فمن يفهم الشرع على أنه مجموعة قوانين متكاملة ودستور في الحياة ليس فيها حرج على الملتزم (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) (سورة الحج، الآية ٧٨) أي أنها يسيرة مطابقة للفطرة ولا يفترض بالإنسان الملتزم بها مقاطعة الناس بل التعايش معهم بحيث ينعكس تدينه على سلوكه فيصبح مثلاً للاستقامة مما يثير الإعجاب به وبدينه. وهذا ما عناه الإمام الصادق عليه السلام بقوله: (كونوا لنا دعاة بغير ألسنتكم). ومن يفهم الشرع على أنه قيود سينكفئ على نفسه وينعزل ويصبح عنصراً سلبياً في المجتمع.

والأمر المهم أن يصبح الدين عرفاً وسلوكاً وليس مجرد طقوس وأعمال (ميكانيكية) يقوم بها الفرد، وهذا ما يرتكز في وجدان الطفل المولود في المهجر والذي يلتقط (ألف باء) الحياة من المدارس والمجتمع المادي، فإذا لم يكن جو الأسرة المسلمة والجالية المسلمة مشحوناً بتلك الروح التي تتحرك في الوجدان وفي الخارج على شكل أعراف وتقاليد ذاب الجيل الجديد في بحر المادية الطاغية في المجتمع.

وعندما يواجه الإنسان الواقع الجديد فليس من الحكمة أن ينعزل عنه ولا الانفلات من الشرع والانسجام مع الواقع، بل الحكمة، هي الاقتراب بالواقع من الشرع، بل صنع الواقع على أساس الشرع، وإن الإنسان العاقل يستطيع - إن أراد - إيجاد آليات ذلك في حياته مهما كانت الظروف ونذكر هنا قولاً لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) مخاطباً به بعض المنسلخين من المسلمين: (وَإِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ وَيُقِيمُ أَوْدَكُمْ وَلَكِنِّي لَا أَرَى إِصْلَاحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِي) (نهج البلاغة، خطبة ٦٩) أي إنه (عليه السلام) يأبى النزول إلى واقعهم الفاسد ومعاملتهم بقوانينهم، وهو حجة الله المؤمن على شريعته القائم بها في الناس (وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ) (سورة المائدة، الآية ٦١).

ولعل التركيز على جيل الأطفال والشباب من قبل دوائر الهجرة والمؤسسات الحكومية في الدول التي تمنح

المسلمين حق اللجوء في أراضيها، يعود إلى أهمية هذه الشريعة في بناء مستقبل هذه الدول وربما الذهاب إلى أكثر من ذلك حيث تأثير هذا الجيل على بنية المجتمعات الإسلامية في الغرب، وقد شخص علماء الأمة هذه النقطة وركزوا عليها.

فقد كتب سماحة الإمام الشيرازي (دام ظله) عدة كتب تناولت هذه القضية من وجهة النظر الشرعية، ولسماحته كتاب (إلى أبنائنا في البلاد الأجنبية) خصصه للأحكام الشرعية والتوجيهات الخاصة بالجاليات المسلة في الغرب.

ومجلة (الكلمة الطيبة) تضع نصب أعين القارئ الكريم هذه المسؤولية والتعامل مع مستجداتها بشيء من الاهتمام قبل أن تغفل الأمور من زمام المربين والمؤسسات الدينية تفتح المجلة أبوابها لكل مقترح أو مساهمة تساعد في إنجاز هذا العمل التربوي الرائد.

أسرة التحرير

تقويم الشهر

شعبان المعظم ١٤٢٢ هـ

الأعمال

الليلة الأولى

فضل هذا اليوم عظيم وصومه كثير الاستحباب وقد ورد انه يوجب الجنة البتة.

الليلة الثانية

يصلي خمسين ركعة مع الحمد والتوحيد والمعوذتين.

الليلة الثالثة

ليلة ولادة الإمام الحسين (عليه السلام) وفيها يصلي ركعتين في كل ركعة سورة الحمد وخمس وعشرين مرة سورة التوحيد.

الليلة الرابعة

الصلاة في هذه الليلة أربعين ركعة في كل ركعة سورة الحمد مرة وخمس وعشرون مرة سورة التوحيد.

الليلة الخامسة

يصلي فيها ركعتين، في كل ركعة سورة الحمد وسورة التوحيد خمسمائة مرة، وبعد الفراغ من الصلاة يصلي على محمد وآل محمد سبعين مرة.

الليلة السادسة

يصلي أربع ركعات في كل ركعة سورة الحمد مرة وسورة التوحيد خمسين مرة.

الليلة السابعة

يصلي ركعتين في الركعة الأولى وبعد الحمد مائة مرة سورة التوحيد، وفي الثانية بعد الحمد مائة مرة آية الكرسي.

الليلة الثامنة

يصلي في هذه الليلة ركعتين في الأولى الحمد وآية (آمن الرسول) إلى آخر السورة خمس مرات وخمسة عشرة مرة سورة التوحيد، وفي الثانية سورة الحمد وآية قل إنما أنا بشر مثلكم، وخمس عشرة مرة سورة التوحيد.

الليلة التاسعة

يصلي في هذه الليلة صلاة أربع ركعات في كل ركعة سورة الحمد وعشر مرات سورة النصر.

الليلة العاشرة

يصلي في مثل هذه الليلة أربع ركعات، في كل ركعة الحمد وآية الكرسي مرة واحدة وسورة الكوثر ثلاث مرات.

الليلة الحادية عشر

يصلي هذه الليلة ثمان ركعات، في كل ركعة سورة الحمد وعشر مرات سورة الجحد.

الليلة الثانية عشر

يصلي في هذه الليلة ركعتين بالحمد مرة وسورة التكاثر عشر مرات.

الليلة الثالثة عشر

مساء يوم ١٣ هو أول ليلة من الليالي البيض من أشهر رجب، شعبان، رمضان.

صلاة ركعتين بالحمد مرة وسورة التين والزيتون مرة.

الليالي الثالثة عشر والرابعة عشر والخامسة عشر

يستحب في هذه الليالي الصلوات التالية:

ففي الليلة الأولى تصلى ركعتان يقرأ فيهما بعد الحمد (يس، الملك، التوحيد) مرة.

أما في الليلة الثانية يصلى أربع ركعات ما في الليلة السابقة.

أما في الليلة الثالثة فتكون الصلاة ست ركعات كما في الليلة التي قبلها.

الليلة الخامسة عشر

مساء هذه الليلة يصادف ليلة النصف من شعبان وتعد من أعظم ليالي السنة بعد ليلة القدر ويطلق عليها

عدة أسماء منها: (ليلة الرحمة، وليلة المبرات، والليلة المباركة) ويستحب فيها الإتيان بعدة أعمال منها الغسل

والصلاة والدعاء والاستغفار وعدة أعمال. راجع كتاب الدعاء والزيارة).

اليوم الخامس عشر

تصلى ركعتين، في كل ركعة سورة الحمد وآية الكرسي مرة، وخمس عشرة مرة التوحيد.

الليلتان السادسة والسابعة عشر

تصلي ركعتين في كل ركعة سورة الحمد مرة، وإحدى وسبعين مرة سورة التوحيد.

الليلة الثامنة عشر

تصلي صلاة عشر ركعات في كل ركعة سورة الحمد وخمس مرات سورة التوحيد.

الليلة التاسعة عشر

صلاة ركعتين في كل ركعة سورة الحمد مرة وخمس مرات آية (قل اللهم مالك الملك).

الليلة العشرون

صلاة أربع ركعات، في كل ركعة سورة الحمد وخمس عشرة مرة سورة النصر.

الليلة الحادية والعشرين

صلاة ثمان ركعات في كل ركعة سورة الحمد والتوحيد والمعوذتين.

الليلة الثانية والعشرين

صلاة ركعتين، في كل ركعة سورة الحمد مرة ومرة سورة الحجر وخمس عشرة مرة سورة التوحيد.

الليلة الثالثة والعشرين

صلاة ثلاثين ركعة في كل ركعة سورة الحمد مرة ومرة سورة الزلزلة.

الليلة الرابعة والعشرين

صلاة ركعتين في كل ركعة سورة الحمد وعشر مرات سورة النصر.

الليلة الخامسة والعشرين

صلاة عشر ركعات، في كل ركعة سورة الحمد مرة ومرة سورة التكاثر.

الليلة السادسة والعشرين

صلاة عشر ركعات في كل ركعة سورة الحمد مرة وعشر مرات آية (آمن الرسول).

الليلة السابعة والعشرين

صلاة ركعتين، في كل ركعة سورة الحمد مرة وعشر مرات سورة الأعلى. صلاة أربع ركعات، في كل ركعة سورة الحمد مرة ومرة سورة التوحيد والمعوذتين.

الليلة الثامنة والعشرين

إن صوم هذا اليوم واليومين الآخرين من بعده المتصلين بشهر رمضان فيه أجر كبير وكان كمن صام شهرين متتابعين كما جاء في الروايات.

الليلة التاسعة والعشرين

صلاة ركعتين، في كل ركعة سورة الحمد مرة وعشر مرات سورة (التكاثر) و(التوحيد) والمعوذتين.

الليلة الثلاثون

صلاة ركعتين في كل ركعة سورة الحمد مرة وعشر مرات (سبح اسم ربك الأعلى) وبعد الانتهاء يقول مائة مرة (اللهم صل على محمد وآل محمد).

الأحداث والمناسبات

اليوم السنة (هـ) المناسبة

١ ٣١٧هـ وفاة البلخي

توفي في مثل هذا اليوم عبد الله بن احمد الملقب أبو القاسم الكعبي البلخي وهو رئيس طائفة المعتزلة.

١ ١٢٦٤هـ وفاة صاحب الجواهر

يصادف في مثل هذا اليوم الشيخ محمد حسن النجفي ابن الشيخ باقر صاحب كتاب جواهر الكلام.

٢ ٢هـ فرض الصيام

فرض على المسلمين في مثل هذا اليوم صيام شهر رمضان وعلى قول آخر أنه في آخر هذا الشهر.

٢ ٣٩٦هـ ولادة الخواجة الأنصاري

ولد في مثل هذا اليوم عبد الله الأنصاري وهو من أحفاد أبي أيوب الأنصاري وهو صاحب المناجات الفارسية

والكلمات الحكيمة.

٣ ٤هـ ولادة الإمام الحسين (عليه السلام)

في مثل هذا اليوم ولد سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) وهو يوم مبارك وقد نزلت فيه الملائكة من السماء لتقدم التهاني إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) بهذا المولود السعيد وقد حملوا شيئاً من تراب قبره الشريف إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتمسح فطرس بمهد الحسين (عليه السلام) فأعاد الله عليه في الحال جناحيه ثم ارتفع مع جبرئيل إلى السماء، والإمام الحسين (عليه السلام) هو ثاني ولد الإمام علي (عليه السلام) من فاطمة الزهراء (عليها السلام) بنت النبي (صلى الله عليه وآله) وكانت مدة إمامة الإمام الحسين (عليه السلام) عشر سنوات وقد طالبه يزيد بن معاوية بالبيعة ولكنه أبى قائلاً: (مثلي لا يبيع مثله). وبعدها هاجر إلى كربلاء واستشهد فيها ودفن في العراق.

٣ ٦٠هـ ورود الإمام الحسين (عليه السلام) مكة

يصادف في مثل هذا اليوم ورود الإمام الحسين (عليه السلام) إلى مكة. ولما عرف أهل الكوفة أن الإمام لم يبيع يزيداً وأنه توجه إلى مكة أخذوا يبعثون إليه بالرسائل، وطلبوا منه المجيء إلى الكوفة فكتب الإمام جواباً على رسائلهم وبعثه مع سفيره مسلم بن عقيل...

٤ ٢٤هـ ولادة أبي الفضل العباس (عليه السلام)

وفي مثل هذا اليوم كانت ولادة أبي الفضل العباس وهو نصير الإمام الحسين (عليه السلام) وحامل لواءه وهو أخيه من أبيه، أمه فاطمة بنت حزام الكلابية (أم البنين) وقد استشهد هو وأخوته الثلاثة مع أخيهم الإمام الحسين (عليه السلام) وكان عمره الشريف ٣٧ عاماً وحين استشهد العباس قال الإمام الحسين (عليه السلام): (الآن انكسر ظهري) دلالة على عظمتة ومنزلته عند الإمام.

٤ ٤٤٠هـ ولادة أبو سعيد أبي الخير

يصادف هذا اليوم ولادة الشيخ العارف أبو سعيد ويقول عنه البهائي: بانه كان محباً لأهل البيت (عليهم السلام).

٤ ٦٩٤هـ إسلام غازان

أسلم السلطان غازان في مثل هذا اليوم وسمى نفسه محمداً، وبسبب إسلامه أسلم حوالي مائة ألف من عسكره وقد أنعم على الإسلام بالهدايا، وأمر بتخريب معابد النار وهدم الأصنام.

٥ ٣٨هـ ولادة الإمام زين العابدين (عليه السلام)

وفي هذا اليوم ولد الإمام زين العابدين (عليه السلام) وهو الولد الوحيد الذي بقي للإمام الحسين (عليه السلام) بعد واقعة كربلاء وقد اقتيد مع الأسارى بعد استشهاد أبيه إلى الشام. وعندما رجع إلى بيته في المدينة تفرغ للعبادة. وله الصحيفة السجادية وتحتوي على ٥٧ دعاء، وتسمى بـ(زبور آل محمد)، دس إليه السم على يد الوليد بن عبد الملك وذلك بتحريض من هشام الخليفة الأموي سنة ٩٥هـ، وكان عمره الشريف حينذاك ٥٧ عاماً.

٥ ٤٣٥هـ وفاة جلال الدين الديلمي

وفي مثل هذا اليوم توفي جلال الدين الديلمي وهو من الموالين للشيعة.

٩ ٤٨١ هـ وفاة ابن البراج

وكانت وفاة أبو القاسم عبد العزيز المعروف بـ(ابن البراج) في مثل هذا اليوم وهو مؤلف الكامل والموجز والمهذب وغيرها، وكان تلميذاً لكل من السيد المرتضى والشيخ الطوسي، ومن ألقابه الحافي...

٩ ١٠٣٩ هـ غرق مكة المكرمة

تعرضت مكة المكرمة في مثل هذا اليوم إلى سيل عظيم ودخل الماء البيوت في مكة فتسبب في غرق أربعة آلاف نفر واثنين من جملتهم معلم مع ثلاثين تلميذاً وقد انهدم في اليوم التالي تمام عرض الكعبة ولم يبق من البيت الكامل إلا موضع الحجر الأسود وبعدها بنيت الكعبة مجدداً.

١٥ ٢٥٥ هـ ولادة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه)

ولد في مثل هذا اليوم الإمام أبو القاسم محمد بن الحسن المهدي (عجل الله تعالى فرجه) في سامراء وعاش مع أبيه حتى شهادة والده سنة ٢٦٠ هـ ولم يتسن لأحد رؤيته إلا الخواص، وبعد شهادة والده تحمل أعباء الإمامة ولم يظهر للعامة بعدها لأن الله سبحانه وتعالى اختار له الغيبة، وقد عين أربعة نواب لجيبوا على أسنلة شيعته وسميت هذه الفترة بالغيبة الصغرى وكانت الفترة حوالي ٧٠ عاماً، (٢٦٠ هـ ٣٢٩ هـ) وبموت النائب الرابع (علي بن محمد السمرى) في عام ٣٢٩ هـ بدأت الغيبة الكبرى والتي ستنتهي بظهور الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه). عمره الشريف اليوم ١١٦٦ عاماً.

١٥ ٣٢٩ هـ وفاة السمرى

توفي آخر نواب الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) الشيخ (علي بن محمد) السمرى في مثل هذا اليوم وقبره في بغداد.

١٨ ٣٢١ هـ وفاة ابن دريد

توفي العالم والأديب أبو بكر محمد بن الحسن المعروف بـ(بن دريد) في مثل هذا اليوم وهو صاحب كتاب (جمهرة اللغة) وهو من علماء الشيعة وكان يعرف بقوة الحفظ وعندما كان يقرأ عليه ديوان الشعر مرة واحدة فإنه يحفظه.

٢٢ ٥٨٨ هـ وفاة ابن شهر آشوب

يصادف في مثل هذا اليوم وفاة الشيخ محمد بن علي بن شهر آشوب السروري المازندراني صاحب المناقب وغيره وقد دفن خارج حلب في أعلى جبل (جوشن).

٢٣ ٣٠٤ هـ وفاة السيد الأطروش

توفي في مثل هذا اليوم السيد أبو محمد الأطروش حسن بن علي بن الحسن ابن عمر الاشراف بن الإمام زين العابدين (عليه السلام) ويعتقد به الزيدية وينقلون الكثير عن كتابه (التفسير الكبير).

مفاهيم إسلامية

الحوار.. حديث في البداهة

حيدر الجراح

مقدمة

تعددت في العقد الأخير من القرن العشرين وفي جميع المنتديات الفكرية والثقافية تعددت الدعوة إلى الحوار، وارتدت هذه الدعوات مسميات عديدة، فتارة الدعوة إلى حوار الحضارات، أو الدعوة إلى الحوار الإسلامي - الإسلامي، أو الحوار الإسلامي - المسيحي، أو حوار الأنا - الآخر. وجميع تلك الدعوات - مع افتراض صدق نيتها - قد حاولت أن تتلمس طريقاً للخروج من الأوضاع المتأزمة التي يعيشها العالم، والتي تفرض عليه ضغوطاً متزايدة، تحاول هذه الدعوات بكافة مسمياتها أن تفرّج من مسامة تلك الضغوط، وتكون القابلية على امتصاصها وتشتيتها أكبر وأوسع، إلا أن هذه الدعوات لم تستطع حتى الآن - وإن كان بعضها نجح بصورة قليلة - أن تحل الكثير من الإشكاليات التي نادت بحلها، وبقيت الأوضاع على ما هي عليه من التأزم والتوتر والتحفظ. فلا زالت هناك إشكالية العلاقة بين الإسلام والغرب، ولا زالت الإشكالية نفسها بين المسلمين أنفسهم بمذاهبهم المتعددة، ولا زالت الأنا تزداد تضخماً لدى الكثيرين على حساب الآخر. هذه السطور مساهمة متواضعة وخجولة للتذكير بالحوار، كبديهة إنسانية تحدث عنها القرآن الكريم منذ الآيات الأولى لنزوله.

حوار القدرة الخالقة

مستويان للبداهة يتشكلان لوحة أخاذة للاستعداد والتعلم والتربية لمن ألقى السمع وهو شهيد. المستوى الأولي: القدرة المطلقة للإيجاد والخلق تحاور الموجودات والخلائق، حين كان الإنسان بعد لم يُخلق بصورة آدم (عليه السلام) (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ) سورة البقرة، الآية ٣٠. المستوى الثاني: حوار الحقيقة المطلقة مع رمز الكفر والجحود والضلال المخاتل، بعد الامتناع عن أمر السجود لآدم (عليه السلام).. وبعد حديث الغواية الشهير في النص المقدس.. وأحيل للحديث الأول إلى سورة الاسراء آية ٦١، سورة ص الآية ٧٥، سورة الاعراف الآية ١٢، سورة ص الآية ٧٦، سورة الحجر الآية ٢٢، وأحيل للحديث الثاني إلى سورة الاعراف الآية ١٦، سورة الحجر الآية ٣٩، سورة ص الآية ٨٢.

الحوار.. في القرآن

ينطلق الحوار في نظر الإسلام - تنظيراً وممارسة - من منطلق يُعدّ فطرياً في جبلة الإنسان، وهو ضرورة البحث عن الحق ولزوم اتباعه، أما وسيلة اكتشاف الحق المودعة في الإنسان والتعرف عليه فهي العقل - النبي الباطن - لا غيره.

فالدليل والبرهان المستند إلى العقل هو المقياس والمعيّار، وأسلوب الحوار يجب أن يكون موضوعياً هادئاً بعيداً عن التشنّج والانفعال وتجريح المشاعر.

وقد جاءت مترادفات كلمة (حوار) في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع:

(١) في قوله تعالى: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) سورة المجادلة الآية ١.

(٢) قوله تعالى: (فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مَلَأً وَأَعَزُّ نَفَرًا) سورة الكهف الآية ٣٤.

(٣) أيضاً في سورة الكهف، قوله تعالى: (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا) الآية ٣٧.

وتكشف قلة ورود هذه الكلمة - الحوار - في القرآن عن ابتعاد القرآن باعتباره وحياً منزلاً، واعتباره منهجاً متكاملًا للحياة بشقيها الدنيوي والأخروي، تكشف هذه القلة عن عدم لجوء القرآن الكريم إلى عملية التنظير التي نلجأ لها نحن البشر في جميع أمورنا، بل انه - القرآن الكريم - عمد إلى التطبيق العملي لهذه المفردة، توزعت على مساحات واسعة من آياته واتخذت طرقاً وصوراً عديدة في التعامل معها تعاملًا واقعياً يؤسس لها حضوراً وكياناً فاعلاً داخل الذات الإنسانية.

من صور الحوار في القرآن يمكن ذكر الآتي:

(١) حوار الله سبحانه وتعالى مع الملائكة.

(٢) حوار سبحانه وتعالى مع إبليس.

(٣) الحوار مع المشركين، وأحيل إلى سورة الانعام الآية ١٤٨ وسورة الأحقاف، الآية ٤ على سبيل المثال.

(٤) الحوار مع الملحدين، وأحيل إلى سورة يونس الآية ١٠١، وسورة النحل الآية ٧٨، وسورة الأنبياء

الآيات ٣٠-٣٢، وسورة الذاريات الآية ٢١، وسورة الطور الآية ٣٥، وسورة الواقعة الآيات ٥٧-٧٢ على سبيل المثال.

(٥) الحوار مع المنكرين للمعاد، وأحيل إلى سورة مريم الآيات ٦٦-٦٧، وسورة الحج الآيات ٥-٧، وسورة

المؤمنون الآيات ٨١-٨٩ و١١٥.

(٦) الحوار مع المنكرين للنبوة، وأحيل إلى سورة هود الآيات ٢٧-٢٨، وسورة الشعراء الآيات ١٥٣-١٥٤،

وكثير غيرها لهذه الصورة من الحوار.

(٧) الحوار مع أهل الكتاب، سورة العنكبوت الآية ٤٦، وسورة البقرة الآية ١٦ إلى غيرها.

وللسيد الشيرازي (دام ظلّه) في تفسير الآية ٤٦ من سورة العنكبوت يقول:

ولما ذكر سبحانه وتعالى لزوم الدعوة إليه سبحانه، بين كيفية دعوة أهل الكتاب، وخصهم بالذكر لأنهم أكثر

خطراً على الدعوة الإسلامية من المشركين، فقال سبحانه (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ) وهم اليهود والنصارى والمجوس (إِلَّا بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ) أي بالطريقة التي هي أحسن الطرق، بأن تكون بعيدة عن إثارة الغضب، قريبة إلى النصفة، قوية في الحجة، برفق ولين (١). (٨) الحوار مع الأنبياء، وتجدها في أكثر من سورة وآية . راجع سورة يونس، هود، يوسف، مريم، طه، الأنبياء على سبيل المثال.

(٩) حوار الأنبياء مع أقوامهم، الاستفادة بالرجوع إلى الرقم ٨.

ولعل من أقوى الأدلة على وجوب الحوار بين الآن والأخر المختلف، مهما كان هذا الأمر، ومهما كانت درجة اختلافه، أن أساساً رئيسياً من أسس نظام الحكم الإسلامي هو الشورى، وما الشورى إلا مجالاً للحوار ولصراع الآراء والأفكار بالتتي هي أحسن، وتبادل وجهات النظر للوصول إلى الصواب ومن أجل الصالح العام. وفي السيرة المعصومة تتجلى صور الحوار أكثر عملياً وعلى أرض الواقع، لتؤكد امتداد الحبل الموصول بين تعاليم السماء والسلوك الحياتي للنبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام). وقد حفل كتاب الاحتجاج للمؤلف الجليل الطبرسي (قدس سره) بهذه الصور الثرة والغنية للحوار والذي دام عقوداً من حياتهم الشريفة، وكان جهاداً متواصلاً في سبيل توضيح الحق والطريق إليه، ورغم اتجاهات الآخرين وشدتهم في الحوار مع الأئمة (عليهم السلام) والذي كان يأخذ طابعاً عنيفاً مسلحاً في بعض الأحيان إلا أنهم (عليهم السلام) لم يحدوا عنه يوماً، لانه أقصر الطرق إلى الهداية والتبصرة.

فمن حوارات أمير المؤمنين (عليه السلام) مع معاوية والخوارج إلى حوارات الإمام الحسن (عليه السلام) وأخيه الحسين (عليه السلام) حتى مع من جيشوا الجيوش لقتله، إلى حوارات الصادق (عليه السلام) في مدرسته الفكرية إلى بقية الأئمة (عليهم السلام)... ويكفي أن نذكر مثلاً واحداً من تلك الأمثلة التي حفل بها كتاب الاحتجاج، مدرسة الحوار الإمامي بلا منازع.

روي عن الحسن بن محمد النوفلي انه قال: لما قدم علي بن موسى الرضا (عليه السلام) على المأمون، أمر الفضل بن سهل أن يجمع له اصحاب المقالات، مثل: الجاثليق، ورأس الجالوت، ورؤساء الصابنيين، والهريزي الأكبر، واصحاب زردشت، وقسطاس الرومي، والمتكلمين - لاحظ تعدد الاتجاهات والأفكار والمواقف - ليسمع كلامه وكلامهم، فجمعهم الفضل بن سهل.. إلى آخر الرواية... الاحتجاج للطبرسي، ج ٢، ص ١٩٩، دار النعمان، ١٩٦٦.

الحوار.. في اللغة

الحوار والمحاورة: المرادة في الكلام، ومنه التحاور.

مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني، ص ٢٦٢، دار القلم، بيروت، ط ١، ١٩٩٢.

والمحاورة: المجاورة، والتحاور: التجاوب.

وهم يتحاورون أي: يتراجعون الكلام.

١ - تفسير تقريب القرآن إلى الأذهان، السيد الشيرازي، ج ٢١، ص ١١، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط ١، ١٩٨٠.

والمحاورة: مراجعة المنطق، والكلام في المخاطبة.
والأحور: العقل وما يعيش فلان بأحور، أي ما يعيش بعقل يرجع إليه.
لسان العرب، ابن منظور، مجلد ٤، ص ٢١٧-٢٢١، قم، ادب الحوزة، ١٤٠٥هـ.
ولاحظ دلالة الأحور والتي هي اشتقاق من جذر حور ومنها الحوار.. وكأن هذا الحوار يضيف عقلاً إلى عقل المتحاورين ليزدادوا علماً وغنىً وحكمة.

الحوار في فكر الإمام الشيرازي (دام ظله)

يمكن الاستدلال على أهمية الحوار لدى سماحته من خلال الكم الغزير لمنتجه الفكري والثقافي بشتى حقولهما، والذي أربى على الألف ومائتين من المؤلفات.

لم يتحدث سماحته عن الحوار بصورة مباشرة في تناول هذه المفردة، بل عمد إلى مخاطبة الجميع بكتبه، وكأنه يبني جسوراً بينه وبين الآخرين، مستعيناً بالكلمة الطيبة والخيرة طريقاً للتواصل مع الآخرين - الموافق والمخالف - يقول سماحته في كتابه (تحويل المعنويات الإسلامية من القوة إلى الفعل) متحدثاً عن النهضة الإسلامية المرجوة والتي حدد لها طرقاً عديدة، يأتي سماحته إلى مسألة الحوار فيقول:

(المهم على الناهضين إن شاؤوا البقاء ولم تأخذهم نشوة النصر أن يفتحوا الحوار المتواضع مع الناس دائماً، حتى ينتهي إلى الوسطى لأنه لا شك في كون بعض الحق مع الناهضين في المفاهيم الجديدة وكيفية التطبيق، كما أنه لا شك في كون الحق مع الشعب في جملة من الأمور ف:

١) إذا فتح الناهضون الحوار المفتوح بكل تواضع.

٢) وجنحوا إلى الواقعية، لا التزوير والمؤامرة والخداع.

٣) واستمروا بالسلم والرفق..

انتهى الأمر ولو بعد عقد من الزمن إلى سيادة المفاهيم الجديدة الواقعية، وتقبل الأمة لها ومرور النهضة من المشكلة بسلام. أما إذا لم يفتحوا الحوار المفتوح والتفاهم الدائم وجنحوا إلى العنف والدكتاتورية والمؤامرة ضد الشعب وقع الثوار والشعب في شقاق، فالثوار لا يستعدون لسماع النقد من الشعب، ومن إصلاح الفاسد، والشعب لا يستعد لتقبل الصحيح من الثوار، لانهم ينظرون إلى الثوار بنظر الحقد والازدراء، فإن صحيح الثوار يطمس بسبب ما أتوه من باطل (١).

وعن الأمور التي تتجلى في عدم الواقعية إذا اتصفت بها الحركة الإسلامية إذا ابتعدت عن الحوار، يذكر سماحته جملة أمور، منها:

١) إخفاء الحق، وإظهار ما ليس بحق حقاً فإن الحق لجميع أهل الحق لا لفئة خاصة، فإذا أرادت فئة خاصة الاستئثار بأنها على حق وما عداها باطل كان ذلك في ضررها في الخط البعيد وإن كان العاجل لها.

٢) السباب، وهذا ما يعتاده من خف وزنه، بينما الله سبحانه يقول: (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

١ - تحويل المعنويات الإسلامية، السيد الشيرازي، ص ٦٣، مركز الرسول الأعظم للتحقيق والنشر، بيروت، ط ١

فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ) سورة الانعام الآية ١٠٨، وقول الإمام علي (عليه السلام): إني أكره لكم أن تكونوا سبابين.. بحار الانوار، ج ٣٢، ص ٥٦١، باب ١٢، ح ٤٦٦.

٣) التهريج، وجمع الأضغاث في قبال الحقائق، وهذا أيضاً عادة من خفت موازينه، وأراد هضم حق الآخرين، فإنه حيث لا تبهر عنده لا بد أن ينفق من التبذير، والمهرج يريد النفوذ في القلوب بقدر حجم التهريج، بينما لا ينفذ حتى بقدر واقع الضئيل إن كان له واقع.

٤) الاستهزاء بالطرف الآخر: وهو من شيمة ضعف النفس، فإن الاستهزاء لا يولد إلا الاستهزاء، فكل فعل رد فعل، وإذا كان للإنسان الحقائق فلماذا يتمسك بذيل الاستهزاء (١).

هذا على مستوى الأفراد الذين يأخذون على عاتقهم الدعوة إلى الإسلام وإلى حقائق الأمور، أما على مستوى الجماعات ممثلة في مؤسسات أو هيئات أو منظمات، يؤكد سماحته على تأسيس منظمة إعلامية عالمية تأخذ على عاتقها حمل الفكرة الإسلامية ونشرها، ويقول:

يلزم على هذه المنظمة أن تشتغل بالأهم فقط وهو إنقاذ المسلمين، وترك الاشتغال بالجزئيات والاختلافات التي كانت ولا تزال موجودة وستبقى إلى ظهور الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) حيث ورد في الحديث إنه عندما يظهر، يضع يده الكريمة على رؤوس الناس فتكتمل عقولهم، ومن المعلوم أن كمال العقل يوجب رفع الاختلاف. وذلك لأن العقل والشرع يقدم الأهم على المهم. فالاختلافات المذهبية أو الفقهية أو الإصطلاحية تستلزم أن تكون لها لجان خاصة تبحث الموضوع في موارده.. (٢)

١ - تحويل المعنويات الإسلامية، السيد الشيرازي، ص ٦٧-٦٩.

٢ - ثلاثة مليارات من الكتب، السيد الشيرازي، ص ١٥-١٦، هيئة آل ياسين للطباعة والنشر، بيروت، ص ١،

ص ١٩٩٨.

شاعر وقصيدة

الشافعي وحب أهل البيت (عليهم السلام)

نسبه ومولده

هو محمد ابن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبيد الله بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن عدنان بن أد بن أد. يلتقي مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في عبد المطلب، فهو من هاشم عم رسول الله (ص).

ولد في غزة عام ١٥٠ هـ، وبين غزة وعسقلان عاش مع أمه يتيمًا عامين، ثم ذهبت به أمه إلى مكة، وعندما بلغ الرابعة من عمره حفظ القرآن الكريم. يقول الشافعي عن نفسه: (وخرجت إلى البادية، فلزمت هذيلًا، أتعلم كلامها، وأخذ طبعها، وكانت أفصح العرب، فبقيت فيهم سبع عشرة سنة، أرحل برجيلهم، وأنزل بنزولهم، فلما رجعت إلى مكة، جعلت أنشد الأشعار، وأذكر الآداب والأخبار وأيام العرب، فمر بي رجل من الزبيريين، فقال: لقد عز علي أن لا يكون مع هذه اللغة، وهذه الفصاحة والذكاء، فقه، فلو حصلت الفقه. فتكون قد سدت أهل زمانك).

سافر الشافعي إلى بغداد ثلاث مرات، وقدم إلى مصر ونزل بالفسطاط ضيفًا كريمًا على محمد بن عبد الله بن عبد الحكم وذلك سنة ١٩٨ هـ، وكانت لمحمد بن عبد الله هذا مكانة اجتماعية بمصر ورياسة علمية وتوطدت علاقته مع الشافعي كثيرًا واحتفى به.

شعره

لا يعتبر الشافعي في عداد الشعراء لشهرته الذائعة الصيت كفقيه ولكن مع هذا فقد نظم الشافعي الشعر وأبدع فيه ولكن ليس بالقدر الذي اشتهر بالفقه.

تأثر الشافعي في أول دراساته بشعر الهذليين، وشعرهم كان جاهليًا وإسلاميًا فصيحًا تناول الحماسة والفضائل والحكمة، ولعل الشافعي أعجب بشعر هؤلاء لنشأته في قبائلهم وتأثره بطبايعهم، ولأن هذيلًا - كما يقول الشافعي نفسه -: كانت أفصح العرب.

ينقل الصولي عن المبرد قوله: كان الشافعي من أشعر الناس وأكثرهم أدبًا. قال ابن رشيق عن الشافعي: أما ابن إدريس فكان من أحسن الناس افتناناً بالشعر.

وشعر الشافعي من السهل الممتنع، وبين نثره وشعره فرق كبير، ففي النثر يختار أجزل الألفاظ، ويميل إلى

الغريب والصعب.

أما ألفاظه في الشعر فكانت من السهل الممتنع ونادراً ما نجد فيها الصعب والغريب. ولما كان الشافعي قد قصد في شعره السهولة والوضوح وسلك في أكثر سبله الارتجال فإنه لم يقل في كل القوافي، بل ترك القوافي الصعبة، واكتفى بالحروف الجيدة التي تتصف بالعدوبة والركة والسرعة والارتجال.

الشافعي وأهل البيت

أجاد الشافعي في نظم الشعر واتصف شعره بالجرأة والصراحة، فقال في سيد الشهداء (عليه السلام) بشكل خاص، كما قال في عموم أهل البيت (عليهم السلام) في مقاطع شعرية أخرى بمواضع مختلفة وأزمنة متفرقة. ويرى الشافعي بوجوب الاعتقاد بأهل البيت وحبهم والتعلق بمودتهم، إذ يرى فيهم ما يراه في بقية أصول الدين من الأهمية، كتوحيد الله والعدل الإلهي، ومن خلال البيتين التاليين يتضح أن الشافعي يعتبر التدين والاعتقاد ملازماً لحب أهل البيت (عليهم السلام) حيث يقول:

لو فتشوا قلبي لألفوا به سطرين قد خطا بلا كاتب
العدل والتوحيد في جانب وحب أهل البيت في جانب

ويتنصل الشافعي من بعض أبناء بيته ومحيطه الاجتماعي الديني حيث إن هناك من يستنكف من كلمة (رافضي) ويعتبرها شتيمة ومسبة، فيستنكر الشافعي ذلك ويدعو الناس إلى حب أهل البيت (عليهم السلام) من خلال الرواية التي يذكرها الفخر الرازي في (مناقب الشافعي) والتي يقول فيها: (خرجنا مع الشافعي من مكة نريد منى، فلم ينزل وادياً ولم يصعد شعباً إلا وهو يقول:

يا راكباً قف بالمحصب من منى واهتف بساكن خيفها والناهض
سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى فيضاً كملتطم الفرات الفائض
إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

فهو لا يعبر عن رأيه الشخصي فقط بل يطالب جميع الحجاج أن يهتفوا بذلك وأن يعلنوه، لأن هذا الأمر مهم جداً ويستحق الإفصاح عنه وإذاعته لينتشر في أوساط حجاج البيت الحرام.

ويكرر الشافعي هذا المعنى في أبيات أخرى حيث نجده في شعره لا يسكت عن النطق ضد بعض السلوكيات المنحرفة.

يتسع نقده لظواهر اجتماعية دينية. فقد كثر في عصر الشافعي أساليب طمس حقائق أهل البيت وإخفاء فضائلهم، بحيث إن قوماً لا يصبرون على سماع فضيلة من فضائل سبطي رسول الله (الحسن والحسين) وأبوهما وأمهما، وقيل للشافعي إن أحداً إذا أراد ذكر فضائلهم يقول: هذا رافضي، فكان الشافعي يستنكر ذلك ويقول:

إذا في مجلس ذكروا علياً وسبطيه وفاطمة الزكية
فاجرى بعضهم ذكرى سواهم فأيقن أنه لسلفقية
إذا ذكروا علياً أو بنيه تشاغل بالروايات الدنية
وقال تجاوزوا يا قوم عنه فهذا من حديث الرافضية

برأت إلى المهيمن من أناس
على آل الرسول صلاة ربي
يرون الرفض حب الفاطمية
ولعنته لتلك الجاهلية

وفي هذه الأبيات نرى الشافعي يكشف عن عودة الجاهلية المنهمكة بنشاطها، فيلعنها ويحذر منها، إنها الجاهلية الملعونة بعينها تعود بلبوس جديد، فتطمس بها فضائل أبناء الرسول وتظلم عترته وتقتل ذريته، هكذا يرى الشافعي الواقع القائم آنذاك بعين الاستغراب والعجب والارتباب.
وأروع ما قاله الشافعي في قصيدة له وهي الأولى في ديوانه يستنكر الشافعي السلوك الاجتماعي والسياسي الجاهلي الذي يمارس هنا وهناك بألوان مختلفة مستهدفاً آل محمد المصطفى (صلى الله عليه وآله) ونجد هذا الاستنكار يبلغ ذروته في الأبيات التي قالها حول مصرع السبط الحسين (عليه السلام): حيث يقول:

تأوه قلبي والفؤاد كنيب	وأرق نومي فالسهاد عجب
ومما نفى نومي وشيب لومتي	تصاريف أيام لهن خطوب
فمن مبلغ، عني الحسين رسالة	وإن كرهتها أنفس وقلوب
ذبيح، بلا جرم كأن قميصه	صبيغ بماء الأرجوان خضيب
فللسيف إغوال وللرمح رنة	ولللخيل من بعد الصهيل نحيب
تزلزلت الدنيا لآل محمد	وكادت لهم صم الجبال تذوب
وغارت نجوم واقشعرت كواكب	وهتك أستار وشق جيوب
يصلى على المبعوث من آل هاشم	ويغزى بنوه إن ذا لعجب!
لئن كان ذنبي حب آل محمد	فذلك ذنب لست عنه أتوب
هم شفعاني يوم حشري وموقفي	إذا ما بدت للناظرين خطوب

إن إقرار الشافعي بحب أهل البيت حالة متكررة في شعره وعظاته، يوليها بالغ الأهمية لتحتل مساحة واسعة من أدبياته، كما تفصح القصيدة التالية التي يناقش فيها موضوع الشفاعة في يوم الحساب:

ولما رأيت الناس قد ذهب بهم	مذاهبهم في أبحر الغي والجهل
ركبت على اسم الله في سفن النجا	وهم آل بيت المصطفى خاتم الرسل
وأمسكت حبلى الله وهو ولاؤهم	كما قد أمرنا بالتمسك بالحبلى
إذا افتרכת في الدين سبعون فرقة	ونيفاً كما قد صح في محكم النقل
ولم يك ناج منهم غير فرقة	فقل لي بها ياذا الرجاحة والعقل
أفي فرق الهلاك آل محمد	أم الفرقة اللاتي نجت منهم قل لي
فان قلت في الناجين فالقول واحد	وان قلت في أهلاك حفت عن العدل
إذا كان مولى القوم منهم فانني	رضيت بهم مازال في ظلهم ظلي
فخلّ علياً لي إماماً ونسله	وأنت من الباقيين في سائر الحل

ويعلن الشافعي فريضة الحب والولاء لآل البيت النبوي ومعطيات هذا الولاء في الدنيا والآخرة فيقول:

آل النبي ذريعتي	وهو إليه وسيلتي
أرجو بأن أعطى غداً	بيدي اليمين صحيفتي

وأخيراً نستطيع أن نتلمس دوافع الشاعر الكبير هذا في نظمه للقصيدة الحسينية، إذ يختتمها بهدفه المنشود ورجائه المعهود متوسلاً فيها بالحسين وآل محمد في يوم لا ينفع فيه أي رصيد مخزون أو شيء مذخور:
هم شفعاني يوم حشري وموقفي إذا ما بدت للناظرين خطوب

وفاته

قضى الشافعي السنوات الأخيرة من حياته في مصر. وتوفي في يوم الخميس أول ربيع الثاني عام ١٩٩ هـ، التاسع عشر من نوفمبر عام ٨١٤م، أي منذ اثني عشر قرناً هجرياً، أو ١١٦٥ عاماً ميلادياً. وكان معه ابنه ابو عثمان محمد (٢٣٢ هـ) ومعه كذلك زوجه حميدة، ثم بنتاه زينب وفاطمة، وذلك للإقامة الدائمة فيها وكان في ركبته تلميذه أبو بكر الحميدي.

دفن الإمام الشافعي في بمصر، وكان قد توفي فيها عام ٢٠٤ يوم الجمعة وقال الربيع بن سليمان: توفي الشافعي ليلة الجمعة، آخر يوم من رجب. وعاش أكثر من نصف قرن (٥٤) سنة.
وقد بنى عام ٦٠٨ هـ القبة الكبيرة على قبره الملك الكامل الأيوبي. وأجرى السلطان قابتاي إصلاحات بضريح الإمام الشافعي عام ٨٨٥ هـ. وجدد قبة الإمام الشافعي علي بك الكبير عام ١١٨٦ هـ. وبنت وزارة الأوقاف المصرية المسجد عام ١٣٢٢ هـ.

المصادر

- ١ - ديوان الشافعي. حققه وعلق عليه: محمد عفيف الزعبي. دار احياء التراث العربي ومؤسسة الزعبي، بيروت.
- ٢ - ديوان الشافعي. تحقيق الدكتور عبد المنعم خفاجي. دار ابن زيدون. بيروت.
- ٣ - أدب الطف. للسيد جواد شبر. دار المرتضى، بيروت.

ركن الأسرة

فن إدارة العلاقة الزوجية

محمد طالب

المقدمة

إن الزواج استجابة لنداء الفطرة، وبكل أبعاده المختلفة على مستوى الفرد أو المجتمع، وبآفاقه القيمية والأخلاقية والكونية.

وقانون الزوجية متأصل في الموجودات بحيث لا تجد ذرة ولا مجرة ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا وهي محكومة بهذا القانون (١) قال تعالى في محكم كتابه:

(وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (٢)

من ينظر إلى الكون الرحب وما فيه من نجوم وكواكب وهواء وماء وشجر وحجر وحيوان وإنسان يذعن بتكاملية هذا النظام، بمعنى أن أحدهما يكمل الآخر، وكل يسير وفق نظام وميزان دقيق لا يخرقه ولا يتجاوزه إلا بني آدم، الذين حملهم الله سبحانه وتعالى أمانة إدارة أنفسهم بعد أن أرمل لهم الأنبياء ورسم لهم الحدود وبين لهم السنن، فحملوا الأمانة ولم يؤدوها حقها، إلا عباد الله المخلصين - تارة بظلم وأخرى بجهل (٣) قال تعالى:

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) (٤)

إن العائلة التي هي واقع الزواج ونتيجته، والعائلة لبنة من لبنات المجتمع الذي يصنع - إذا كان صالحاً - أمجاداً وتاريخاً وحضارة، فالعائلة - الصالحة - الأساس المنطقي والحقيقي للحضارة، وهذا هو مكن قدسية وخطورة وعظمة هذا النظام الاجتماعي ومدى الأهمية البالغة التي يجب أن تعطى للزواج وبمراحله المختلفة، من التمهيد له وإعداده فالمحافظة عليه واستدامة نضارته ووجهه وحيويته وجداناً وإحساساً وشعوراً وعلى المستوى العائلي والأخلاقي والتربوي والاجتماعي والحضاري.

١ - العائلة، ص ١٥، السيد الشيرازي.

٢ - سورة الذاريات، الآية ٤٩.

٣ - العائلة، ص ١٥، السيد الشيرازي.

٤ - سورة الأحزاب، الآية ٧٢.

قيمة المرأة والرجل

إن عالمنا اليوم وتبعاً للتطور الحاصل في مفرداته وتفصيله المختلفة، قد تسبب بتغييرات - سلبية أو إيجابية - تركت آثارها على مختلف مناحي الحياة وخاصة في الحياة الاجتماعية وطريقة إدارتها. وبالتأكيد إنه وعن طريق الإسلام - بأحكامه ومعارفه وآدابه - يمكننا تحقيق الهدف المنشود إلا وهو المدينة الفاضلة، والتي يصل فيها الإنسان - المرأة والرجل - إلى أقصى درجات الكمال الروحي والمعنوي في كل من الأسرة والمجتمع.

يقول أهل الفلسفة والعرفان، إن العالم بكل مكوناته يشبه الإنسان، فكل السماوات والكواكب وموجوداتها المادية والمجردة ضمن هذه المجموعة، ومجموع الخلق موجود منظم ومرتببط ببعضه ومنسجم في الحركة، وإن هذا (العالم - الإنسان) ليس بامرأة وليس برجل، ليس مؤنث وليس بذكر، ومن جانب آخر مؤنث وذكر معاً. وهذين الاثنين خليط مع بعضهما البعض، أي إن النظرة لا تسمح لأي من الرجل والمرأة الحصول على نصيب أكبر من الآخر، فليس هنالك أي معيار في الخلفة الإلهية لرفع أو خفض قيمة المرأة أو الرجل.

مدخل

لقد عرفوا الأخلاق بأنها عبارة عن مجموعة من الضوابط ذات المنشأ العقلي أو الإلهي الغرض منها ضمان الروابط الاجتماعية الصحيحة، وهذه الضوابط وضعت لبني البشر.

إن الأخلاق من العوامل المهمة المؤدية إلى الموفقية والنجاح، حيث إن قسماً كبيراً من الصفات والخصال الإنسانية وحفظ القيم يتمثل في الفضائل الأخلاقية. والأخلاق تمثل الإحساس لسمو وتثبيت شخصية المجتمعات الإنسانية، وقيمة كل إنسان تقاس بحسب ما يتمتع به من أخلاق حسنة، وتتضح القيمة الوجودية للإنسان عندما تسلب منه الفضائل الأخلاقية. فالمجتمعات التي تنحسر فيها الأخلاق، تأخذ الروابط بين أفرادها طابعاً حيوانياً، ويكون فيها حق الحياة للقوي، حيث يقوم بالتعدي والتجاوز على الآخرين بأن يسلب القيمة الوجودية التي يتمتع بها الآخرون. (١)

إن المحور العام للبعثة المحمدية والإطار الذي يتحرك به الإسلام هو (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) فالأخلاق قوام المجتمع وعماد الحضارة، وكما قال الشاعر:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن ذهبت أخلاقهم هم ذهبوا

من ذلك، يبدو واضحاً أهمية الأخلاق وضرورتها في كل مناحي الحياة وتفصيلها، فكيف هي في ما يخص العلاقة بين الزوجين.

فإذا لم تكن أخلاق أي من الزوجين حسنة، تحول البيت إلى جحيم، كما إذا لم يكن لأيهما دين يردعه عن المنكر، ربما باع عرضهما أو ما أشبه ذلك. (٢)

إن الزواج نتيجة شديدة الارتباط بمقدماتها، فهو ليس مجرد علاقة حب تجمع بين اثنين، وليس الحب وحده كفيل بالمحافظة على ديمومة الحياة الزوجية واستمرارها ونجاحها، كما إنه ليس هنالك من ضمان بأن يكون

١ - الأسرة والمشاكل الأخلاقية للأطفال، الدكتور علي القائي، ص ١٥-١٦.

٢ - العائلة، ص ٥٥، السيد الشيرازي.

سفر الزواج على امتداده في سنين العمر جنة غناء أو حديقة أحلام واستجمام.
وكثير من يقول: إن الساعات (العسلية) والأيام السعيدة، بين الزوجين المنسجمين لا تحتاج إلى خبرة في توفيرها، أو إلى قانون عام أو إرشادات معينة لتدلنا عليها، لأنها تتواجد بشكل ما أشبه ما يكون بالفطري أو الطبيعي أو التلقائي.

ومن نظرة سريعة على الأحاديث النبوية الشريفة يتبين أنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام بما يخص الزواج:
القسم الأول: يتعلق بما هو قبل الزواج - الاختيار -.

القسم الثاني: يتعلق بما هو بعد الزواج - مقدماته والمحافظة عليه -.

القسم الثالث: يتعلق بالحقوق والواجبات.

وبالطبع فإن ما بين هذه المجاميع من الأحاديث الشريفة تلازم وترابط ولكن ما يخص حديثنا وما يدخل فيه هو القسم الثاني والثالث من الأحاديث الشريفة، وأجد من الضروري جداً أن نتطرق لذكر ولو بعض منها:

- استوصوا بالنساء خيراً، فما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم. (١)

- خير الرجال خيرهم لنسائهم. (٢)

- خير الرجال من أمتي الذين لا يتطاولون على أهلهم، ولا يحنون عليهن، ولا يظلمونهن. (٣) ثم قرأ:

(الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض). (٤)

- أحسن الناس إيماناً وأكرمهم خلقاً أطفهم بأهله. (٥)

- رحم الله عبداً أحسن فيما بينه وبين زوجته. فإن الله عز وجل قد ملكه ناصيتها وجعله القيم عليها. (٦)

- يقول أبو عبد الله (عليه السلام):

لا غنى بالزوج عن ثلاثة أشياء فيما بينه وبين زوجته. وهي:

موافقتها ليجتلب بها موافقتها ومحبتها وهواها، وحسن خلقه معها واستعماله استمالة قلبها بالهيئة الحسنة في عيها، وتوسعته عليها. (٧)

- قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

أيما امرأة قالت لزوجها، ما رأيت منك خيراً قط إلا حبط عملها. (٨)

- إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح. (٩)

١ - نزهة الأفكار، ص ٦٠٤، الشيخ محمد الصالح.

٢ - نفس المصدر، ص ٦٠٤.

٣ - نفس المصدر، ص ٦٠٤.

٤ - سورة النساء، الآية ٣٤.

٥ - نزهة الأفكار، ص ٦٠٥-٦٠٦.

٦ - نفس المصدر، ص ٦٠٦.

٧ - نفس المصدر، ص ٦٠٦.

٨ - نفس المصدر، ص ٦٠٠.

- أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة. (٢)
- لا تؤدي المرأة حق الله عز وجل حتى تؤدي حق زوجها. (٣)
- أيما امرأة باتت وزوجها عليها ساخط ف يحق لا تقبل منها صلاة حتى يرضى عنها. (٤)

الأرضية المشتركة

عموماً... إن المسائل التي ينحصر فيها البحث والتفكير، عندما يتقدم الشاب لطلب فتاة للزواج منها، هي ما تتعلق بالجوانب الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والدينية، والسؤال عن شخصية الشاب ووضع أسرته، ولن يصلوا إلى قرار نهائي حتى يأخذوا نصيباً من الحيرة والتأمل وكذلك قسطاً من القلق.

ولكن... وغالباً ما يحصل إن هنالك غفلة أو تجاهلاً عن مسألة عدم التكافؤ والاختلافات - قد تكون موجودة - الظاهرة أو الخفية بين الطرفين، وهل من الممكن حصول الانسجام والتوافق مع وجود مساحة - صغيرة أو كبيرة - من الاختلافات.

ومثال على ذلك... تحكي إحدى السيدات تجربتها الشخصية في الزواج، تقول:

تزوجت ابن عمي بحكم تقاليد العائلة وأعراسها السائدة، كان كلانا يعلم إنه مختلف عن الآخر، فهو قد عاش حياته كلها في المدينة بين دراسة وعمل، بينما لم أعرف في حياتي شيئاً سوى القرية وحياة الناس فيها وأعمال البيت. وحين انتقلت للعيش معه في المدينة، لم استطع أن أتخلى عن عاداتي التي نشأت عليها، وتضيف: كنا نختلف في أشياء كثيرة، فعاش كل منا في عالمه الخاص، دون أن يفكر أحدهما في تقديم جزء من التنازل للآخر، ونحن ما زلنا زوجين ولكن أمام الناس فقط حرصاً على مصلحة طفلينا، ولعل هذا هو القرار الوحيد الذي لم نختلف فيه.

كما إن مشكلة (عدم التكافؤ) قد تبرز في أي وقت من خلال المسيرة الزوجية، وليس شرطاً أن تكون نتيجة لتداعيات وجود جذور المشكلة ما قبل الزواج، فقد تتبلور بعض التغييرات التي تطرأ على حياة الزوجين إلى منطقة (عدم التكافؤ).

يقول الدكتور قاسم الصراف: (التكافؤ هو وجود أرضية مشتركة، من شأنها خلق نوع من التفاهم بين الزوجين، ليساعد على حياة هادئة، فتقارب الزوجين في الخلفية الاجتماعية أو الاقتصادية أو الثقافية لا يعني بالضرورة تشابههما الكامل في كل من هذه المجالات). (٥)

إن القصص التي نسمعها من واقعنا بهذا الشأن كثيرة ومتنوعة، ولكن الشيء المهم لتلاقي مثل هذه المشكلة، هو توفير النية الصادقة عند الزوجين للحفاظ على هذا الكيان الزوجي من خلال إيجاد أرضية مشتركة

١ - نفس المصدر، ص ٦٠٠.

٢ - نفس المصدر، ص ٦٠١.

٣ - نفس المصدر، ص ٦٠١.

٤ - نفس المصدر، ص ٦٠٢.

٥ - مجلة العربي، العدد ٣٧٠، ص ١٦٩.

وتعزيز نقاط الالتقاء وتفعيل أساليب الإقناع من خلال الحوار المنفتح والهادئ بأجواء طيبة وودودة وبلمسات عاطفية تحت سقف العقل الراشد.

فالحرص على توفير مبدأ التكافؤ الزوجي أمر ضروري لنجاح الحياة، وهو يشمل التكافؤ في الخلفية الاجتماعية والثقافية للزوجين والمشاركة في بعض الميول والهوايات، والتشابه في النظرة العامة للحياة، إضافة إلى قدرة كل منهما على إشباع الحاجات المتوقعة للطرف الآخر. ولعل التكافؤ الجنسي أو على الأقل الاستعداد للمصارحة بشأنه من أهم العوامل لاستمرار حياة زوجية ناجحة، بل إن هذه القضية قادرة على تحطيم أي علاقة مهما كانت متكافئة.

اكتشاف الآخر

من الخطأ الفاحش، إنه في بعض الحالات قد يحرص الزوجين عند حدوث مشكلة ما بينهما على أن يقوم كل طرفٍ منهما بإحصاء وسرد نواقص الآخر والأخطاء التي ارتكبت في الماضي، وهذه نقطة حساسة جداً يجب أن ينتبه لها المتزوجون وأن يحذروا لكي لا يقعوا في فخها، لما لها من آثار ولما تولد من انطباعات لها تداعيات خطيرة على العلاقة بين الزوجين بل وحتى على مستقبل حياتهم الزوجية.

إذ من المفروض في مثل هذه الحالة أن تحصر المشكلة ضمن نطاقها وتحجيمها ومحاولة صنع انقلاب على الحالة بتذكر الأوقات أو الوقفات الجميلة والعاطفية، يقول أحد خبراء المشاكل الزوجية:

عندما يتبادل الزوجان ذكر ما يعجب كلاً منهما في الآخر فإن هذا - في حد ذاته - يدخل بسرعة تطوراً إيجابياً في حياتهما الزوجية، وذلك لأن كل طرف منهما سيتبين عدداً من الجوانب الإيجابية في الطرف الآخر، كان يتجاهلها أو يتناساها، وغالباً ما يسمع أحد الطرفين من الطرف الآخر عن جانب من جوانب إعجابه لأول مرة في حياتهما الزوجية. ويقول الخبراء إن القاعدة الأساسية في هذا هي أنه متى أظهر الطرفان تقديرًا لبعضهما، وبدأ كل منهما في استكشاف النواحي الإيجابية في الطرف الآخر، أصبح الطريق سهلاً أمام نمو العلاقة نمواً صحيحاً متزايداً. والخطوة الأولى في هذا السبيل هي معرفة كل طرف بالآخر، معرفة أصدق وأدق، أما الوسيلة الأفضل في التعرف على الطرف الآخر فهي أن تسأل وتنصت، حتى لو كان زواجكما قد مضى عليه أكثر من عشرين عاماً، وعليكما معاً أن تتجاوزا الأحاديث السطحية التي غالباً ما تعتمد عليها كبديل للحوار الحقيقي. (١)

الصراحة.. والسعادة الزوجية

إن ما تؤكدته الأبحاث النفسية إن الغضب أو الشعور بعدم الرضا الذي لا يجد متنفساً له يزداد غالباً عمقاً وشدة ويخلف آثاراً سلبية.

كما إن كبت تلك الأمور وتجنب التصريح بها يؤدي إلى مشاكل عديدة نفسية وعاطفية واجتماعية، وقد ينحو تأثيره إلى انعدام الثقة بين الزوجين وفتور عاطفي ملحوظ، كما إن في بعض الحالات هنالك توجهاً خاطئاً وغير صحي بأن الأزواج يلجئون إلى عدم المواجهة عند نشوب خلاف بينهما ويتخذون دوراً سلبياً بعدم طرح نقاط

١ - مجلة العربي، العدد ٣٤١، ص ١٦٢-١٦٣.

الاختلاف للنقاش، خوفاً مما قد يثيره ذلك الطرح من توتر وتشنج في العلاقة بينهما، وربما وفي بعض الأحيان قد يكون المانع هو الخجل، وهذا بالتأكيد يولد انطباعات الاستياء والتذمر ويثير الملل والبرود بالأحاسيس والمشاعر وقد يصل إلى ذروة النتائج السلبية وهو أن يحس الزوج أو الزوجة بالظلم.

إن جنوح بعض الأزواج لعدم إعلانهم عن غضبهم من أمر ما أو عدم قبولهم عن عمل ما، يجعلهم يخسرون شيئاً مهماً، هو بالحقيقة يدعم حياتهم الزوجية ويوطدها ويعزز الرغبة فيها والتمسك بها، ويحلون بدل ذلك الفتور والارتباك في عواطفهم وعلاقتهم.

وكثير من التجارب تثبت إن الخلافات التي قد تحدث بين الزوجين وحسب رأي كثير من الأزواج (نعمة) - إذا ما أديرت واستغلت بالشكل الصحيح - إذ إنها سرعان ما تنتهي وتتحول إلى (حالة غسل) إذا جاز التعبير، وما ذلك باليسير وليس هو باليسير.. فبالعقل الرشيد والكلام الهادئ واستحضار العواطف الجياشة من الممكن أن تغير الوضع كثيراً، وليس هنالك من حاجة لاتباع بروتوكولات أو ضوابط ما، فالبساطة والتلقائية والوضوح والصراحة والابتعاد عن الغموض والإجحاف والتعقيد كل ذلك كفيل بإذابة جليد الخلافات بين الزوجين وتحويله منطقة ساخنة توجب العواطف وتثير الإحساس بالود والمحبة.

وفي استبيان قامت به مجلة (ريدبوك) حول الزواج، وأجابت عليه ٧٥ ألف سيدة متزوجة، أفادت أول حقيقة إن معظم السعيدات في زواجهن يصفن حياتهن الزوجية بأوصاف لا تطابق الصورة المثالية الحاملة المبهمة للزواج عند الباقيات، وإن الأزواج والزوجات الذين يستمتعون بعلاقة زوجية طيبة يصادفون المشاكل ويعانون مشاعر القلق، ويواجهون الاختلافات مع الطرف الآخر، لكنهم يعبرون عن اختلافهم بطريقة مقبولة. كما تقول الدراسة إن الزوجات والأزواج يختلفون مع بعضهم بعضاً، ويتناقشون عادة حول ستة موضوعات أساسية هي: العادات الشخصية للطرف الآخر التي تثير الغيظ والقلق، والمال، ومسألة عدم إظهار الكفاية من الحب، والمشاكل القانونية، وأسلوب تربية الأطفال ومعاملتهم، ثم أخيراً العلاقة الجنسية بين الطرفين. ومن أهم الحقائق التي كشف عنها هذا الاستبيان فيما يتعلق باختلاف الرأي بين الزوجين هو إن الطريقة التي يعبر بها الأزواج والزوجات عن الرفض أو الاختلاف، تكون أهم بكثير من الموضوع الذي يختلف عليه الزوجان. (١)

أخيراً وليس آخراً

ما أظنه إن العلاقة بين الزوجين هي فوق مستوى الحقوق والواجبات (المحسوبة) أو المحدودة بإطار (مالك وما عليك). وإن كان معرفة الحقوق والواجبات والضوابط من المرجحات العقلية لتأهيل وتثبيت والمحافظة على هذا النظام الاجتماعي، وما أريد قوله أن الزواج أو العلاقة بين الزوجين لا يحدد في منطقة معينة بل هو مساحة واسعة من المشاعر الجميلة والأحاسيس المرهفة والعواطف الصادقة بخطوط عامة وعريضة هي المودة والرحمة:

(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) سورة الروم، الآية ٢١.

إن ما بين الزوجين ينطلق في رحاب عالم واسع وكبير هو الحب، وقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) (وما الدين إلا الحب) فالحب هو العطاء المتواصل وبدون أن تنتظر المقابل الحب هو نكران الذات والتعب من أجل راحة الآخر بل إنه يجد في التعب والألم راحة إذا كانت من أجل حبيبه، ومشاعر الحب تدخل في الفعل والقول ولها آثارها الكبيرة، وقد روي عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله):
(قول الرجل للمرأة أني أحبك لا يذهب من قلبها أبداً) وسائل الشيعة، ج ٧، ص ١٠.
وختاماً.. لا ريب في أن تجارب الآخرين تغني العقول ومن الحكمة النظر فيها والاعتبار بها فبذلك نختصر الطريق ونقل من بذل الجهد ونتجنب الكثير من الأخطاء والمشاكل... وقد قدمت دراسات وأقيمت بحوث ضمن هذا الإطار، وبافتراض توفر النية الصادقة والمخلصة للحفاظ على كيانهم الزوجي وتنمية تألفهم وعلاقتهم ووجه مودتهم ومحبتهم، هذه قواعد اتفق عليها أهل العلم والاختصاص والتجربة:
قواعد أساسية:

- ١- عبرا عن شكواكما بروح طيبة.
 - ٢- تجنباً مهاجمة بعضكما بعضاً.
 - ٣- ركزا على المشكلة الراهنة فقط بشكل محدد.
 - ٤- اعترفا بعواطفكما ومشاعركما.
- أساليب محدودة:
- ١- تخيرا الوقت المناسب.
 - ٢- كونا أكثر تحديداً.
 - ٣- تناولا موضوعاً واحداً في جلسة النقاش الواحدة.
 - ٤- اسعيا إلى تغييرات معقولة في سلوك كل واحد منكم.
 - ٥- استمعاً جيداً لبعضكما.
 - ٦- حاولا أن يتقبل كل واحد منكما الآخر ويتفهمه.
- الوصول إلى الحل:
- ١- فكر، إبحثاً وتأمل.
 - ٢- كونا على استعداد لتقبل الحلول الجزئية، غير الكاملة، وغير النهائية.
 - ٣- ادخلا عنصر التنازل في حسابكما.
- ليتجنب كل واحد منكما محاولة الخروج من النقاش رابحاً. (١)
- إن الإدارة الناجحة للحياة الزوجية بجناحين: أن نتجنب كل ما يثير المشاكل وكل ما يؤدي إلى الارتباك في العلاقة الزوجية والآخر هو كل ما يثير الإعجاب عند المقابل ويثبت عنده إن الحب هو نفسه باق ولم تغيره السنين وعواصف الدهر فبكلمة طيبة واحدة تدخل السرور والبهجة إلى القلوب وتجنبنا الفتور والملل والمشاكل، فالكلمة الطيبة حسنة.

ركن الأسرة

التوافق الزوجي عبر دورة الحياة

الدكتور سعد الأمانة

يعد الإنسان الكائن الحي العاقل والوحيد الذي يبقى دائم السعي بحثاً عن الاستقرار وبحثاً عن أسرة يتكامل معها (ذكراً كان أم أنثى) فلولا سعيه منذ بداية إحساسه بالطرف الآخر لما سكن الرجل إلى امرأة وتناسل من أجل استمرار الحياة، ولما استقر عبر دورة الحياة التي قد تمتد من الثلث الأول من عمره حتى نهايته، فالرجل قبل الزواج يستحضر كل مهارته الفريدة وقيمه وصورة أهدافه في الحياة، يصرح بها تارة ويكبتها تارة أخرى، يشعر أحياناً بأنه غير كفء باختيار الزوجة الصالحة، أو يعلق البعض منهم - الرجال - بأنه لم يجد المرأة التي تناسبه... إن الرضا عن المرأة التي يرى بأنها تصلح لأن تكون زوجة مخلصمة مستقبلاً، هو أمر في غاية الصعوبة، وإن الرضا الكلي عن المرأة، هو ضرب من الخيال أحياناً، وعدم القبول بها على خط متصل واحد، أيضاً أمر نسبي... فالرجل يمتلك من التقييم عن المرأة التي ستكون زوجته لاحقاً، صورة في الخيال، وكذلك المرأة تتمنى من الرجل الذي تود أن تقترب به، أن يكون ضمن مواصفات ربما تقترب إلى الخيال.. كلا الصورتين قد تتقارب عند الرجل والمرأة، وتتباعدهما أيضاً، ولكن بعد الزواج...

فالرجل خارج إطار الزوجية (حر السلوك والتصرف) لا تحكمه الضوابط الزوجية، وكذلك المرأة، فهي أيضاً تمتلك نفس الحق وحسب طبيعة البيئة التي تعيش فيها.. ويكون المحك في نجاح هذه التصورات أو فشلها، هو الود تجاه الآخر، وهو مفتاح التوافق بين الزوجين.. لذا اعتبره علماء النفس من أكثر مظاهر الحياة بعثاً على السرور والارتياح بين الزوجين.. فعندما يتحقق هذا الجانب وتتصاعد المشاعر بين الزوج والزوجة، يجدان الكثير من المشكلات النفسية قد تحطمت في حياتهما بفعل قوة الترابط الانفعالي والعاطفي.

فالمشكلات التي تواجه الرجل - الزوج - من ضغوط حياتية، أي ضغوط العمل، وضغوط الحياة الاقتصادية، والصراع مع الآخرين من أجل تحقيق الطموح والتطلعات يجد الراحة والاطمئنان في أسرته مع زوجته، بعد أن طرح هناك الهموم جانباً ولم ينقلها إلى داخل بيته.. فالرجل الذي يبعد مشاكل عمله ومتاعبه في المحيط الخارجي عن أسرته وبيته الصغير، سوف يحقق أعلى درجات التوافق الأسري.

الزواج نصف الدين

اعتبر الدين الإسلامي الزواج سنة يكمل بها الرجل دينه فالرجل عندما يبلغ من العمر سناً معينة، تتحرك في داخله دوافع البحث عن النصف الآخر، وهو حق مشروع، لذا اعتبر الزواج في مجتمعنا الإسلامي على أنه رابطة عمرية دائمة شاملة.. وعلى هذا الأساس يعتبر الزواج انتماء شريك العمر إلى الآخر وينكر أن له حاجات

فردية خاصة يتناولها متى شاء كما هو شائع في الثقافات الغربية.. فالتزام الرجل بالزواج يعد شرط احترام وإلزام له تجاه الزوجة، وكذلك للزوجة نفس الشرط، كما قال الرسول (صلى الله عليه وآله): جهاد المرأة حسن التبعل لزوجها. (١)

فالحضارة الغربية لا تختلف في نظرتها للرابطة الزوجية اختلافاً جذرياً، فهم قد ينظرون إلى الزواج على أنه علاقة غير نهائية ينبغي إعادة تقييمها بين الحين والآخر ثم يتقرر ما إذا كان يجب استمرارها أم لا، فالكثير من المجتمعات الغربية تشجع أفرادها إقامة علاقات ذات معنى خارج نطاق العلاقة الزوجية اعتماداً على الافتراض القائل بأنه لا يمكن لإثنين من الأفراد أن يوفي كل منهما حاجات الآخر وفاءً تاماً، ومنها مسألة الأمانة الجنسية أو الخيانة الجنسية.

إن الدين الإسلامي دين منهج متكامل وضع خبرة الحياة بكل جوانبها حيز التنفيذ والتطبيق دون التجارب التي ربما تسبب مشكلات نفسية عميقة لكلا الطرفين - الرجل والمرأة - فوضع حقوق الرجل في الزواج، وحقوق المرأة في الزواج أيضاً. فقول الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) لا غنى بالزوج عن ثلاثة أشياء فيما بينه وبين زوجته، وهي الموافقة ليجتلب بها موافقتها ومحبتها وهوأها، وحسن خلقه معها، واستعماله استمالة قلبها بالهينة الحسنة في عينها، وتوسعته عليها. (٢)

فقد أثبتت الدراسات المسحية المتعلقة بالتوافق الزوجي، إن العوامل المرتبطة بالزواج الناجح تتعلق بعدة مؤشرات أهمها الود والارتباط القائم على أواصر الاستمرار الدائم دون خوف من الانفصال أو الترك أو الهجران لأي سبب كان، شرعياً أو غير شرعي، وفي ذلك يقول الإمام محمد الشيرازي: (الاختلافات بين الزوجين توجب سوء الروابط، مما يبذل السعادة إلى الشقاء) وقوله أيضاً: (هناك أسباب توجب سوء الروابط، مثل عدم المحبة، عدم الوفاء، عدم الرحمة، سوء الأخلاق، شدة الكلام، السباب، الحسد، ترجيح الزوج إحدى زوجاته على الأخريات، الكبر، الغرور، عدم اعتناء الزوجة بنفسها لزوجها، خصوصاً إذا كانت تعتني بنفسها للضيوف، وعند الخروج من الدار، عدم الاهتمام بالأكل واللباس والنظافة، الكذب، سوء الظن). (٣)

وهذه المشكلات التي أوجزها الإمام الشيرازي، يمكن إن تكون سبب عدم التوافق الزوجي، وي طرح البعض أسباباً أخرى لها دور كبير في تقوية روابط العلاقة الزوجية منها: المشاركة في عمل المنزل ورعاية الأطفال والمسؤوليات الاجتماعية الأخرى كـ(زيارة أهل الزوجة أو زيارة أهل الزوج).

التوافق الزوجي

يقول علماء الاجتماع أن الأزواج الذين لا يشاركون في مسؤوليات عمل المنزل بسبب انشغالهم لساعات طويلة خارج البيت، أو ينشغلون في معظم أوقاتهم في القيام بشراء المستلزمات الخاصة بالبيت، لا ضرر عليهم بالمسؤولية والمشاركة بسبب انشغالهم، فالزوجة تعرف حق المعرفة مشاغل الزوج، ومتطلبات عمله، وتحيل

١ - تحف العقول، أبو محمد الحسن الحرائي، مطبعة شريعت، طهران (ايران، ١٤٢١هـ) ص ٤٩.

٢ - المصدر السابق، ص ٢٦٣.

٣ - فقه الاجتماع، الإمام الشيرازي، ص ٤٦.

البعض من الزوجات وخاصة العاملات إلى طلب مساعدة الأزواج وخاصة في عطلة الأسبوع، ووجدت دراسات أخرى أن الأزواج لا يشاركون زوجاتهم بعمل البيت حتى في عطلة نهاية الأسبوع، بل يبقى الزوج يتابع مشاهدة لبرامج التلفزيونية أو القيام ببعض الأعمال الخاصة به.. ولم تكن تشكل هذه السلوكيات مشكلات لكلا الزوجين. والظاهرة الأكثر في العلاقات الزوجية هي ظهور شكوى النساء وأكثر من الرجال. وارجع العلماء شكوى النساء المتزوجات إلى عبء العمل بالنسبة إلى قوة تحملهن ومسؤوليات إدارة البيت وخاصة إذا أنجبت الزوجة طفلاً مع وجود عمل ترتبط به.

لقد أثبتت الدراسات النفسية باستطلاع يتعلق بالتوافق الزوجي والمشكلات الزوجية الشائعة وجد من النادر أن يعترف المتزوجون بالسعادة (بعد زواجهم) ولكنهم كمجموعة يقولون بأنهم راضون بحياتهم الحالية.. وقد توصلت الدراسة المسحية أيضاً أن قرابة ٦٠% من الرجال والنساء اعترفوا بظهور بعض المشكلات في بعض الفترات من حياتهم الزوجية، وتعبّر الزوجات عن عدم الرضا أكثر من الأزواج.. وقد يرجع السبب في ذلك إلى كثرة التوترات التي تعترض حياة الزوجة، والمسؤوليات الملقة عليها.

الزواج الناجح

نادراً ما تسير أحوال الزوجين طيلة حياتهم الزوجية في مجرى واحد دون اشتداد أو ضعف أو تراخي في العلاقة، حتى وإن سار الزواج سيراً حميداً دائماً أمام الناس.. فقد وجد علماء النفس إن الحياة الزوجية تمر دائماً في مد وجزر بين الزوج والزوجة، وخلال فترات عمرية مختلفة، وأوقات زمنية مختلفة أيضاً.. ففي الكثير من الأوقات خلال الحياة الزوجية، يغمرها الود والتعاطف والانسجام الكامل، إلا أن المشكلات تنتابها وهو أمر حتمي، إلا أن الكثير من الأزواج ينجحون في تكوين روابط ناجحة إلى حد ما بعد انتهاء المشكلة.. فحالات السعادة والانسجام هي السائدة دائماً في حياة الزواج الناجح، ونوبات الاختلاف والمشاكل، هي الأقل أيضاً في حياتهم.

إن الزواج الناجح والعوامل المرتبطة به ذات سمات معينة وخلفيات معينة أيضاً، فعامل الوضع الاجتماعي الاقتصادي المرتفع ذو تأثير فعال على تحقيق نجاح الزواج في معظم الأحيان، كذلك طبيعة الفرد ذاته السعيدة، وسمات المسالمة والهدوء في التعامل مع المشكلات التي تعترض الحياة الزوجية...

إن للوضع الاقتصادي تأثيراً كبيراً على استقرار الزواج وتدعيم عناصر استمراره، وقلة المشكلات المتوقع ظهورها.. فكثيراً ما تختفى المشكلات ذات الطابع الاقتصادي خاصة عندما يتصرف الأزواج بطرق تؤدي إلى بعث الطمأنينة والسلام وتجاوز المشكلات.. حتى الأطفال الذين يعيشون في بيوت سعيدة متكاملة اقتصادياً، يكتسبون الهدوء والعادات الشخصية عن طريق ملاحظة آبائهم، مع قلة الاحباطات والمشاكل.

يرى الإمام الشيرازي أن سعادة الزوجين من شروط سعادة الأطفال، إذ الدار التي فيها الشقاق والتضارب لا تتمكن أن تربي أولاداً صالحين (١) وفي نفس الوقت يركز الأزواج الراضون على الجوانب الإيجابية في الزواج حتى ولو كان الزواج صعباً، فالحياة الزوجية المسالمة، قد تعني أن الشريكين قد عرفا بعضهما تمام

١ - فقه الاجتماع، ص ٤٨.

المعرفة وكانا على استعداد كامل لاستيعاب المشكلات التي تواجههما، ومثل هذا الزواج تقل احتمالية الخلاف فيه، وإمكانية تكوين علاقة ثابتة دائمة، حيث يتولد لديهم الصبر إزاء المصاعب التي يواجهونها، كما أن قدراتهم على استيعاب بعضهم البعض تتطلب شركاء (أزواج) يكرسون أنفسهم ومهاراتهم في حل المشكلات.. وهذا يأتي من تقوية القدرة على التفاهم عند أحد الزوجين، والإحساس بالشريك الآخر بدرجة فعالة، ومعالجة القلق الناجم عن مصاعب الحياة وتفتيته، فالأزواج الناجحين يركزون على العمل الجاد في مواجهة المصاعب للحفاظ على تفاعلهم البناء. (١)

إن تشابه سلوك الشريك أو الميل إلى الانسحاب عند المواجهة بين الزوجين هو الطريق الأمثل والأصح لاستمرار زواج متوافق وناجح خلال فترة دورة الحياة.. فالانسحابية كسلوك لدى المرأة يزيد من توثيق العلاقة بين الرجل وزوجته فمثلاً عن التشابه في العادات واكتسابها من أحد الزوجين، وخاصة العادات الناجحة والمسالمة، وهي إحدى دعائم الزواج الثابت والمستقر.. وفي ذلك يرى الإمام الشيرازي قوله: (يتمكن الزوجان من الحفاظ على نقاء المحيط العائلي، بالنسبة إلى أنفسهما، وبالنسبة إلى الأولاد، فإن ذلك يؤمن سعادة العائلة أولاً، وسعادة مستقبل الأولاد ثانياً) (٢).

الزواج الناجح.. أسرة ناجحة

كانت الأسرة وما زالت هي حجر الزاوية في البناء الاجتماعي في مجتمعاتنا، تحظى هذه الوحدة الاجتماعية بالكثير من الاهتمام وتبذل مجهودات كثيرة للعناية بحاجاتها الأساسية، وهي مجهودات متعددة: من إسكان إلى صحة إلى عناية واهتمام وما إلى ذلك (٣). وفي ذلك تعد الزوجة هي عماد الأسرة، وعليها يقع لم شمل الأسرة، فكلما تحققت عوامل نجاح الزواج بدون مشاكل ومعوقات، كلما قامت أسرة خالية من المصاعب والعوائق.. وفي ذلك يورد لنا الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): (لا غنى بالزوجة فيما بينها وبين زوجها المتوافق لها عن ثلاث خصال وهنّ:

صيانة نفسها عن كل دنس حتى يطمئن قلبه إلى الثقة بها في حال المحبوب والمكروه وحياطته ليكون ذلك عاطفاً عليها عند زلة تكون منها، وإظهار العشق له بالخلاصة (القول اللطيف) والهيئة الحسنة لها في عينه.

الزواج الناجح والتوافق الجنسي

لكي يحقق الزواج معظم أهدافه المنظورة وغير المنظورة، لا بد وأن يتناول أهم عامل وأخطره على الإطلاق، وهو التوافق الجنسي، حيث عد هذا النوع من التوافق عصب حياة الزوجية للرجل والمرأة) ومنه يتحقق التوافق أو الاختلاف وفي ذلك يقول الإمام الشيرازي: (عدم التوافق الجنسي، نفسياً، أو جسدياً، أو عملياً، وموضوعاً، فإن كل واحد من الزوجين له فلسفة خاصة في الممارسة) وعليه فإن عدم التفاهم والاتفاق في هذه الممارسة الحيوية سيؤدي حتماً إلى فشل الزواج.

١ - مدخل علم النفس، ليندارل دافيدوف، ترجمة سيد الطواب وآخرون، ص ٣٤٦.

٢ - فقه الاجتماع، ص ٤٦.

٣ - العنف العائلي، مصطفى السيد، ص ١٥٠.

فالعلاقة الجنسية الناجحة تحقق السعادة الزوجية السليمة، وتتحقق السعادة الزوجية عندما يستطيع كل من الزوج والزوجة إشباع حاجتهما وتحقيق أهدافهما في الحياة الزوجية مما يؤدي إلى حرص كل منهما على تماسك الأسرة واستقرارها، وحين يسود جو الأسرة علاقات يشوبها الخلاف والتشاحن بينهما دون سبب ظاهر، فلا بد من البحث عن الأسباب الخفية... فإن بقيت هذه الأسباب دون حل سوف تؤدي إلى الإصابة بالاختلال في التوازن الانفعالي والنفسي.. دون أن يدرك الزوجان نتائجها، فالإشباع الجنسي عامل مهم يهد كيان الحياة الزوجية إذا لم يفهم بين الزوجين ويتم خلاله حل الإشكال سيؤدي إلى نتائج وخيمة.

إن متطلبات الإشباع الجنسي في الحياة الزوجية اقتضت من الفرد كزوج محاولة جادة لفهم حياته النفسية، وحياة الزوجة النفسية أيضاً والخاصة، فمهما بلغت العلاقة من الاحترام المتبادل والهدوء والسكون، لا بد من كشف هذه الانفعالات الجنسية حتى وإن ساورها الخجل والتردد في الإقدام، فجميع المظاهر المكبوتة تستطيع أن تنم عن شخصية الفرد وما يعرفه أو لا يعرفه، ولها أن تدلل على الأسباب الكامنة أو الخفية من اضطرابه الجنسي.. فالاضطراب وعدم التوافق في السلوك الجنسي لدى المتزوجين، يعد كأي اضطراب سلوكي آخر، يمكن إيجاد الحلول له ووضع البرامج التي تؤدي إلى زواله.

قد تمر الحياة الزوجية في بدايتها دون مشاكل، ودون البوح بما يعترها من صعوبات، وهو ناتج من طبيعة العلاقات الثقافية والحياة الاجتماعية التي تعلمها الزوجان، خلال حياتهما، وهو سلوك شائع في المجتمعات الشرقية والعربية والإسلامية.. وهذه السلوكيات لا تشكل أية صعوبة لدى الغرب.. ففي بعض الحالات في مجتمعاتنا تصل الأمور لدى متزوجين يعيشون حياتهم بدون تحسس أو ممارسة جنسية مشبعة، فلا يحقق الزوج الإشباع الكامل ولا الزوجة تحصل على الإشباع، وهو حق لكلا الطرفين شرعياً ودينياً، إلا أن الخجل والحشمة الزائدة يجعلهما يخسران سعادتهما.. لذا اعتبر العامل الجنسي في العلاقة الزوجية المتوافقة، أساس السعادة، وهي حاجة دائمة وملحة يبدأ الفرد الاستمتاع بها بعد الزواج الشرعي وتستمر طوال الحياة بدون توقف أو إشباع، والسعي إلى إرضائها لا يمثل حاجة بايولوجية تضمن البقاء فحسب، وإنما يمثل حاجة نفسية تخدم أغراض المتعة والمعاناة وتكون الحوافز المهمة في الحياة النفسية الإنسانية.

إن أهمية الحاجة الجنسية في حياة الزوجين، هو السعي لإرضائها والتفريغ عنها، وله الأثر العظيم في عملية نمو الشخصية وتوافق الحياة الزوجية وتكاملها. وقد لا تبوح النساء في مجتمعاتنا المحافظة عن الضيق الذي تعاني منه بسبب عدم تحقق الإشباع الكامل في الحياة الجنسية رغم أن الاهتمامات الجنسية لدى معظم النساء المحافظات تأتي بعد الاهتمامات الأخرى مثل مشاهدة التلفزيون والعمل المنزلي. وهي لا تستطيع الإعلان عن هذا الضيق وهي لا تمثل الموقف الصادق بالنظر للوضع التقليدي بالنسبة لها والذي يفرض عليها درجة كبيرة من الخجل ومحاذرة الإفشاء بالأمور الجنسية، لذا اعتبر جماعة التحليل النفسي إن الإلحاح المتزايد على أمور تافهة في الحياة الزوجية، هو تعبير رمزي عن قلة الإشباع الجنسي بين الزوجين، فيجب على الرجل الانتباه إلى ذلك في حياته الزوجية الخاصة.. ومحاولة معرفة الدوافع التي تكمن خلف الأسباب الظاهرة، فكل سلوك لدى الإنسان يخفي خلفه أسباباً ظاهرة، وأخرى خفية.. فالبحث عنها يوصله إلى النتيجة.

ركن الأسرة

المعاشرة الزوجية وفق النظرة الإسلامية

عقيل حسن

لما كان الإسلام هو الدين الخاتم والشرعية الكاملة، لذا فإنه لا يمر على مفصل من مفاصل الحياة صغيراً أو كبيراً إلا وقد أعطى الإسلام فيه رأيه وبين أحكامه، ومن ذلك.. الجنس، فقد تحدث الإسلام عن الجنس كحاجة حياتية يشعر بها كل إنسان سوي مكتمل وهي حاجة نابعة من ذات الإنسان، فالجنس واقع مفروض ولا بد من التعامل معه بعقلانية وعلمية وعلى أساس واضح.

ومن هنا.. فلا رهينة بالعزوف عن النساء في الإسلام، يقول الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله): حبب إلي من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وقرة عيني الصلاة) فقد أقر الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وهو سيد الكائنات وخاتم النبيين بأن الجنس مسألة حتمية وأمر طبيعي، ومن هذا المنطلق يكون التخاطب معه لأنه دعوة فطرية وحقيقية بايولوجية.

ومما لا شك فيه أن الغريزة الجنسية هي غريزة أودعها الله في طبيعة الإنسان لا عبثاً ولا اعتباطاً وإنما لغرض استمرارية النوع بالتكاثر وتحسينه في جميع الظروف والأحوال. ومع ذلك فالإسلام لم يترك الإنسان ليطلق العنان لغرائزه ونزواته وشهواته أو مستسلماً لنفسه الأمانة بالسوء لتعم الفوضى والجريمة ويسود الارتباك واختلاط الإنساب، فرسم للعلاقة الجنسية إطاراً أخلاقياً وإنسانياً ووضع لها الحدود والضوابط أوجب مراعاتها واحترامها وحذر بشدة من تجاوزها، وبهذا فالإسلام اتخذ الوسطية في هذا المفصل المهم والخطير في حياة الإنسان ليحفظ للإنسان إنسانيته ويضمن له سعادته.

المعاشرة الزوجية والعلاقة بين الزوجين

أن الإقدام على الزواج من قبل الرجل والمرأة، من الطبيعي أن ينطلق بدافعين:

١ - الحاجة الجسدية الطبيعية المتمثلة في إشباع غريزته.

٢ - الحاجة (الروحية، الاجتماعية، الحياتية) لتكوين العائلة وبناء بيت الزوجية لرفد المجتمع بعناصر إنسانية فعالة تعمر الديار وتجسد في الإنسان خلافة على الأرض. أن الجوهر الطبيعي والخلقي أو المادي - إذا جاز التعبير - للزواج - هو إشباع الحاجة الجنسية، وفي هذا يقول الدكتور (ماري ستوب) والدكتور (بورغاس): انه عندما يتكلم الباحثون في مؤلفاتهم عن الحب والزواج فإن المعنى الحقيقي الذي يقصدونه من ذلك هو إرواء

غلة النفس والطريقة الطبيعية لتحقيق هذا الإرواء هي الزواج (١).

ومن الطبيعي أن الإنسان الذي لا يجد إشباعاً لحاجته الجنسية في زواجه، يشعر عندها بأن التعقيد والإرباك وعدم التوازن هو الغالب على علاقته الزوجية، الأمر الذي قد يؤثر على الطمأنينة التي يعيشها الإنسان في ما عبر عنه القرآن (بالسكن) فيما يعنيه من راحة وسكينة وهدوء نفسي وروحي، وربما يكون للاضطراب في العلاقة الجنسية بين الزوجين تداعيات أسوأ من ذلك، يقول السيد الشيرازي: (إن عدم رعاية أحد الطرفين آداب الملامسة، فأن اللمس إحدى العوامل الجوهرية لبقاء العائلة، فضلاً عن عدم قدرة أحدهما إشباع الآخر، لنقص جنسي لمرض أو هرم أو غير ذلك) (٢).

وقد وجد فرويد أن التضييق على الحافز الجنسي أو الكبت دون إيجاد المتنفس الطبيعي لهذا الدافع يسبب انحرافاً بعيد الأثر في حياة الإنسان، يقول الدكتور إبراهيم ستون والدكتور هانا ستون: (إن امتناع زوجين لفترة طويلة عن الاتصال الجنسي ليس مستحباً سواء من الناحيتين البدنية والنفسية، فإن امتناع زوجين يعاشران أحدهما الآخر عن الاتصال الجنسي عامدين يخلق ولا شك توتراً بدنياً وعاطفياً يمهد لنشوب الخلافات الزوجية، ذلك أن الحياة الجنسية الراضية دعامة أساسية في دعائم الحياة الزوجية ولا يمكن أن يتم زواج مع توالي قمع الغريزة الجنسية) (٣).

في الجانب المقابل، فقد أثبتت الأبحاث الخاصة بالهرمونات أن للعملية الجنسية تأثيرات مباشرة على عدد كبير من العمليات البيولوجية والفسولوجية التي تحدث في الجسم، فثمة ارتباط حيوي بين الغريزة الجنسية وصحة الجسم، فحالة الإشباع الجنسي تمثل عند الاكتفاء طاقة تمنح الكثير من الهدوء للتوتر الجسدي والذي ينعكس إيجابياً على التوازن الروحي، يقول الدكتور فريدريك كهن: (أن الإنسان يعتبر الجماع كاتحاد كلي يستسلم فيه كائنات لبعضهما ويتبادلان المتعة طيلة فترة معينة، فالجماع هو تقدمة الذات وهذه التقدمة تنشط وتظهر وتشرف فاعلها، وليست الأجهزة التناسلية وحدها التي تأخذ نصيبها من المقاربة الجنسية بل الجسم بكامله والنفس أيضاً تكسب نصيبها) (٤).

إن النجاح في العلاقة الجنسية لا يضمن بالضرورة النجاح في الحياة الزوجية دون النظر إلى المتطلبات الأخرى لبناء حياة زوجية مستقرة، ولكن ما نريد قوله أن الجنس عامل فعال وحيوي ومهم في نجاح الحياة الزوجية أو فشلها.

يروى أنه في إحدى الغزوات وقع رجل أسيراً بيد رجال عشيرة من أهل الديلم، فشدوا وثاقه على نخلة قريبة من إحدى البيوتات الحاكمة في تلك العشيرة، فلما حل الظلام جاءت إحدى النساء فراودته عن نفسه فوقعها ثمان مرات، فسألته: أهكذا يفعل المسلمون بنساءهم، قال بلا فقالت له: بهذا نصرتم.

١ - الشهوة الجنسية عند الرجل والمرأة، د. ماري ستوب، د. بوغاس، ص ١٢٧.

٢ - السيد الشيرازي، الاجتماع، ج ٢، ص ٤١.

٣ - حياتنا الزوجية، د. إبراهيم ستون، د. هانا ستون، ص ١٣٠.

٤ - حياتنا الجنسية مشكلاتها وحلولها، د. فريدريك كهن، ص ٣٥٠.

الخبرة ونجاح العلاقة الجنسية

كثير من يظن - خطأً - أن للخبرة الجنسية التي تسبق الزواج الدور الرئيسي والمهم في نجاح العلاقة الجنسية بين الزوجين، فعند استقراننا لتاريخ العلاقات الزوجية الناجحة، نجد أن الخبرة المتقدمة على الزواج لا تمثل الجانب الأهم في نجاح هذه العلاقة فأغلب الزوجات كانت تنطلق من دون أية خبرة تذكر، فإنه وبمرور الوقت - كسائر الأمور الحياتية - يستحصل على الخبرة اللازمة لتحقيق النجاح فيها، على اعتبار أن الدافع لقيام العملية الجنسية الناجحة هو الحاجة الغريزية الجامحة وأيضاً تجسيد لوجود الذات الحي والناجح، كل ذلك يدفعه وبقوة إلى اكتشاف كل ما يستلزم حصوله على الراحة الأفضل والإشباع اللازم.

وما يبدو في كثير من العلاقات الزوجية، أن (التجارب الجنسية) التي تسبق الزواج قد تخلق آثاراً سيئة وخاصة إذا كانت تلك التجارب في إطار - غير أخلاقي - فعادة ما تحاط به تلك (التجارب) من أجواء خاصة قد لا يجد في الزواج ما يماثلها، عندها يكون الشعور بعدم الرضا لعدم تمكنه من الحصول على ما كان يحصل عليه من تلك (التجارب). ذكرت مجلة مجازين دايجست: إن عيادات علماء النفس أصبحت تزخر برجال ونساء يعانون اضطرابات نفسية خطيرة سببها الإحساس بالندم على ما كان لهم من علاقات جنسية قبل الزواج (١).

وهناك نقطة مهمة، من الضروري الالتفات إليها وهي أن القوة الجنسية متباينة من فرد لآخر، وقد تكون غير متكافئة بين الزوجين أما بسبب عضوي أو لروية معينة للجنس تنطلق من خلفية ثقافية خاصة، ففي بعض الرجال والنساء يكون الاهتمام بالأمور الجنسية شبه معدوم فتراهم لا يفكرون في هذه الأمور إلا تفكيراً عابراً.. في حين يكون الجنس محور الحياة بالنسبة لغيرهم، ويقولون أن الرغبة الجنسية تجد مرتعاً خصيباً بين الشعراء والموسيقيين والفنانين في حين تكون سوقها كاسدة بين العلماء والفلاسفة والمشتغلين بعقولهم والذين يكرسون حياتهم للرياضة البدنية، على أنه يجب أن لا يغرب عن بالنا أن هناك رجالاً ونساءً قلما يبدون اهتماماً ظاهراً بالجنس، في حين تكون حقيقتهم غير ما يتظاهرون به تماماً (٢).

يوضح السيد الشيرازي خطر عدم التوافق الجنسي على مستقبل العلاقة الزوجية مبيناً العلاج الجسدي والنفسي، فيقول: (عدم التوافق الجنسي، نفسياً، أو جسدياً، أو عملياً وموضعاً، فإن كل واحد من الزوجين له فلسفة خاصة في الممارسة، إذا لم توافقها فلسفة الآخر ينتهي إلى السوء الجنسي فسوء العلاقة. وكذلك في الاختلاف الجسدي، بأن كان أحدهما بارداً والآخر حاراً. والاختلاف العملي عند الملامسة، وكذلك عدم التطابق الموضوعي، وإن كانت الفلسفة والجسد حرارة وبرودة متقاربين وكان العمل حسب الموازين الصحيحة ويلحق بذلك الفقر والمرض في الموضوع ثم اللازم للزوجين، علاج ما يمكن علاجه، من تقويم الأخلاق، ومن مراجعة الطبيب الجسدي والنفسي، ومن تقوية الإطارات التي يتمكنان من العيش فيها بسلام، وإلا فيكثر بين الأزواج سوء الأخلاق، مما ينتهي بالعائلة إلى الشقاء، وكثيراً ما إلى الطلاق (٣).

١ - الزواج المبكر في الطب والدين والمجتمع، محمد كاظم، ص ٢٦٧.

٢ - نفس المصدر، ص ٥٨.

٣ - السيد الشيرازي، الاجتماع، ج ١، ص ٤٦.

ثقافة الحياة الزوجية .. ضرورة

إن الثقافة الجنسية التي تتصل بمعرفة أوليات المسألة الجنسية ونتائجها وماتضمنه من تركيبية الجهاز التناسلي، ووظائف أعضائه، لدى الرجل والمرأة، مسألة مهمة في انفتاح الزوجين على ثقافة قد تجنب حياتهم الزوجية كثير من المشاكل وتبعدهم عن التعقيد والارتباك.

إن أهم عقبة تقف أمام الثقافة الجنسية في مجتمعاتنا (المحافظة) هو الحياء، إن الحياء نعمة كبيرة علينا أن لا نحولها إلى نقمة بتحميل هذا المفهوم أكثر مما يتحمله فيتحول إلى عقبة كؤود في حياتنا وخاصة في مسألة الجنس سواء قبل الزواج وبعده. علماً أن الإسلام قد تحدث عن المسألة الجنسية وعن الأعضاء الجنسية بشكل صريح، كما أن الإسلام قد عبر عن عقد الزواج بكلمة النكاح التي هي أقرب الكلمات إلى العلمية الجنسية. من هنا، فالثقافة الجنسية أمر غير مرفوض، ولكنه يجب أن تكون في إطار أخلاقي فاضل وعلى خط العفاف والطهارة الإنسانية وأن تبعد كل البعد عن كل ما يثير في النفس من النزوات بالوسائل غير النبيلة وبذلك يخلق لنفسه منعة روحية وأخلاقية وتوازن نفسي.

إن ما يبرر لنا ضرورة الإطلاع على الثقافة الجنسية هو حقيقة كون الجنس م الحاجات الإنسانية الطبيعية التي يتعين ارضاؤها بشكل سوي من خلال الإطلاع والفهم لطرفي العلاقة (الرجل والمرأة) ولطبيعة هذه العلاقة، فالهياج الجنسي شديد الشبه بالجوع، وكما أننا نشعر بالنقص الغذائي في جسمنا، كذلك نجد الهياج الجنسي غريزة تغزو المخ وتتحكم بالأعصاب الداخلية، لذا أصبحت الثقافة الجنسية مهمة والتعرف عليها لا يدخل ضمن إطار رفع الحياء أو تجاوز حدوده، بل أن العكس هو الصحيح، فليس من اللائق أن يدخل رجل أو امرأة عش الزوجية وهو لا يدرك من الأمر شيئاً أو غير ملم بتفاصيله.

يحتاج الإنسان إلى أمور فيما يتعلق بالعملية الجنسية منها الاستعداد النفسي يقول الدكتور فيكتور بوجرمولتر: (إن الحياة الجنسية هي همزة وصل بين النفس والجسد، والعملية الجنسية هي عملية فيزيولوجية جسمية تقوم وترتكز على وظائف الأعضاء^(١)).

كما يجب الاهتمام بالحالة النفسية للزوجة في الأيام الأولى من الزواج حيث تعيش الزوجة بأجواء غير عادية يتخللها الخوف والوجل وغير ذلك وطبعاً هذا يتوقف على واقع الزوجة ومقدار تعاطيها الثقافي والتربوي في هذا المجال.

ومن الأمور الضرورية التي توفر أجواء التشويق والتجدد والحيوية والإثارة هو التزين والتجمل والنظافة يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (الصورة الجميلة أول السعادتين) وقد وجد في سبب زنى نساء اليهود، أن الرجال لا يهتمون بنظافتهم (بحلق العانة وشعر الإبطن) ولا يتزينون ولما ينبعث من الرائحة الكريهة التي تثير النفور عند نساءهم منهم. كما أن أغلب الشباب يهتمون كثيراً بالتزين والتجمل قبل الزواج في مرحلة الخطبة وما شابهها، ولكن ما أن يدخل عش الزوجية وينقضي شهر العسل حتى تتضائل هذه الميزة حتى تكاد تختفي وكأن الذي كان خداعاً أو كان الذي كان من قبل لمجرد الحصول على المرأة بإستمالتها في مثل هذه الأمور وانتهى الأمر. يقول الإمام الصادق (عليه السلام): (اللبس وتجميل فإن الله جميل يحب الجمال وليكن من حلال).

١ - - عش شاباً طوال حياتك، د. فيكتور بوجرمولتر، ص ٧٨.

وللوصول لتفاعل جنسي يستوعب كل الأهداف المرجوة منه وبشكل يؤمن لطرفيه اللذة الجنسية الكاملة وتحقيق الإشباع، لا بد من المداعبة ولا تعني طبعاً الممازحة وإنما هي عملية يصفها المختصون كالعزف على الأوتار الموسيقية لما تتطلبه من معرفة المناطق التي تثير الغريزة الجنسية التي تصل بها إلى مراحلها النهائية يقول الإمام الرضا (عليه السلام): (لا تجامع امرأة حتى تلاعبها وتكثر ملاعبتها وتغمر ندييها فإنك إذا فعلت ذلك غلبت شهوتها واجتمع ماؤها لأن ماءها يخرج من ندييها والشهوة تظهر من وجهها وعينيها واشتتت منك مثل الذي تشتتته منها)، إضافة إلى ذلك فإنه في معظم الحالات قد يقضي الرجل حاجته والمرأة لم تحصل بعد على حاجتها مثل الرجل، وفي هذا يقول الإمام علي (عليه السلام): (إذا أراد أحدكم أن يأتي أهله فلا يعاجلنها وليمكث، يكن منها مثل الذي يكون منه).

وختاماً من المهم أن نعرف أن العملية الجنسية بين الزوجين هي أحد أجزاء العبادة السبعين وهي مسألة حقوق وواجبات فرضها الله سبحانه وتعالى على الزوجين، فهناك حساب على من يقصر في إعطاء حقوق الآخر وهناك أجر على الوفاء والالتزام تجاه حق الآخرين، كما أنه لا يوجد (حياء) بين الزوجين في العملية الجنسية فهو حلال أحله الله تعالى ولا يجوز أن نوجد حدوداً نبيها على هوانا وكيفما اتفق فما أمرنا به رسول الله (صلى الله عليه وآله) نأخذ به وما نهانا عنه ننتهي وبهذا فقط نضمن النجاح والتوفيق في أعمالنا والسعادة في حياتنا.

من أعلام الشيعة

السيد محسن الأمين

نسبه ومولده

هو أبو محمد الباقر محسن ابن الصالح العابد السيد عبد الكريم ابن العلامة الفقيه الرئيس الجليل السيد علي ابن الرئيس السيد محمد الأمين ابن العالم الفقيه الرئيس أبي الحسن موسى ابن العالم الفاضل الرئيس السيد حيدر ابن العالم الفاضل السيد أحمد ابن إبراهيم المنتهي نسبه إلى الحسين ذي الدعة بن زيد الشهيد ابن الإمام علي زين العابدين ابن الإمام الحسين الشهيد ابن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) العلوي الفاطمي الهاشمي الحلي العاملي الشقراني.

ولد السيد محسن الأمين في قرية شقراء إحدى قرى جبل عامل التي اشتهرت مؤخراً بأنها معقل السادة من آل الأمين، وكان مولده عام ١٨٦٦، وأصل أسرة السيد تعود إلى قبيلة كانت تسكن محلة قريبة من الكوفة في العراق تدعى أقباس مالك، وقد انتقل جدود السيد القدماء إلى مدينة الحلة، ومن هناك قدم أحد جدود السيد إلى بلدة شقراء بناء لطلب سكان جبل عامل، ثم عرفت العشيرة بآل الأمين نسبة إلى السيد محمد الأمين والد جد السيد محسن وأصبح يقال لذريته جميعاً آل الأمين).

دراسته

تولت والدته السيد (وهي ابنة العالم الصالح الشيخ محمد حسين فلهة الميمني وكانت فضليات النساء) تعليم ابنها في بداية حياته القرآن الكريم، أما الخط فقد تولى تعليمه إياه شيوخ العائلة المعروفين بالإجادة فيه وقد تعلمه بمدة يسيرة، ثم انتقل في دراسته في مدن (عين الزط) و(بلدة البراغيث) ثم في بنت جبيل وعلى يد بعض المدرسين الذين لم يقتنع بهم السيد بما فيه الكفاية لذلك كان حلمه الذهاب إلى العراق لالتحضير لطلب العلم هناك وهو أمر ليس بمتناول يده. لذلك انصرف السيد في أمور التجارة على عادة أهل جبل عامل في تلك الأيام فكانت تجارة المواشي والحبوب هي الأكثر رواجاً وهكذا أخذ السيد في التجوال بين قرى الجبل حيناً وبين الجولان وهوران والخيط حيناً آخر بانعاً شارباً.

وتيسرت أمور السيد وانطلق إلى العراق في آخر يوم من شهر رمضان عام ١٨٩٠ وقلبه يكاد يسبقه شوقاً إلى زيارة العتبات المقدسة. ومنذ اللحظة الأولى لوصوله إلى العراق حاول أن تزيده الحكمة حلاوة خلافاً لما كانت عليه حال العديدين من أترابه، ولم يتأخر لحظة واحدة في الانخراط في جو التحصيل العلمي بقسميه تدريس (السطوح) وتدريس (الخارج) الذي يؤدي لنيل درجة الاجتهاد لمن وفقه الله إلى ذلك.

وكانت الغاية النهائية لكل طالب متفوق الحصول على إجازة الاجتهاد وهي شهادة تفيد بأن المجاز (صار عنده ملكة استنباط الفروع من الأصول وإنه ثقة عدل يصح أخذ الأحكام عنه ويعرف ذلك بالممارسة).

واستمرت أيام السيد الأمين بين يسر وعسر، ولكنها كانت مملوءة علماً واجتهاداً ومثابرة، وفي عام ١٣١٥ هـ قدم إليه والده وتوفي عنده في النجف الأشرف ودفن فيها.

من مشايخه في جبل عامل:

- ١ - السيد جواد مرتضى، قرأ عليه شرح قطر الندى وشرح ألفية ابن مالك لابن ناظم.
- ٢ - السيد نجيب الدين فضل الله العاملي العيثاني، قرأ عليه المطول وحاشية ملا عبد الله وشرح الشمسية وكلاهما في المنطق والمعامل إلى الاستصحاب.

في النجف الأشرف:

- ١ - الشيخ محمد باقر النجمابادي، قرأ عليه في القوانين وشرح اللمعة والرسائل.
- ٢ - الشيخ ملا فتح الله الأصفهاني المعروف بشيخ الشريعة، قرأ عليه أكثر الرسائل في السطوح.
- ٣ - الشيخ ملا كاظم الخراساني صاحب الكفاية في الأصول، قرأ عليه دورة الأصول خارجاً.
- ٤ - الشيخ آقا رضا الهمذاني صاحب مصباح الفقيه، قرأ عليه في الفقه خارجاً في كتاب مصباح الفقيه إلى الزكاة.

- ٥ - الشيخ محمد طه نجف، قرأ عليه في الفقه خارجاً.

تلاميذه

- ١ - السيد مهدي ابن السيد حسن آل إبراهيم الحسني العاملي.
 - ٢ - الشيخ منير عسيران.
 - ٣ - الشيخ عبد اللطيف شبلي ناصر العاملي الحداثي.
 - ٤ - الأستاذ أديب النقي الدمشقي.
 - ٥ - الشيخ علي الصوري.
 - ٦ - الشيخ علي شميع الحمصي الغوري.
 - ٧ - السيد أمين ابن السيد أحمد الحسيني العاملي.
- وغيرهم.

مؤلفاته

للسيد محسن الأمين مؤلفات كثيرة وبعضها قد طبع مرتين أو مراراً وبعضها قد ترجم إلى غير العربية، وأكثرها يزيد على ٥٠٠ صفحة إلى ٨٠٠ صفحة وأشهر مؤلفاته موسوعته الكبرى (أعيان الشيعة) وعدد مجلداتها مائة مجلد. كما إن للسيد مقالات كثيرة قيمة موزعة بين الرد والنقد والرحلات، وكذلك له ثلاث قصص تمثيلية، ولا عجب أن تكثر مؤلفات السيد محسن الأمين وتتوسع، يقول واصفاً حاله في كتابه أعيان الشيعة: (ولم نزل وقد بلغنا السادسة والثمانين من سني عمرنا ودق العظم وخارت القوى وتوالت الهموم والأمراض

مواظبين على التأليف والتصنيف ليلاً ونهاراً وعشية وإكراً سفيراً وحضراً وقد قيل أن المجلسي لو قسمت مؤلفاته على عمره لكان نصيب كل يوم كراس وعد ذلك مبالغة مع أنه كان له من المساعدين والثروة ما ليس لنا منه شيء.. لكننا ألفنا العزلة والتباعد عن الناس مهما أمكن مع اشتغالنا بالمرافعات وفصل النزاعات وتدبير أمر المعاش).

وللسيد الأمين مؤلفات كثيرة وأهمها:

١ - الحصون المنيعية في رد ما أورده صاحب المنار في حق الشيعة.

٢ - أصدق الأخبار في قصة الأخذ بالثأر

٣ - لواعج الأشجان في مقتل أبي عبد الله الحسين.

٤ - الدر النضيد في مراثي السبط الشهيد.

٥ - الدرة البهية في تطبيق الموازين الشرعية على العرفية.

٦ - الدر الثمين في أهم ما يجب معرفته على المسلمين.

٧ - الرحيق المختوم في المنثور والمنظوم.

٨ - المجالس السنية في مناقب ومصائب العترة النبوية.

٩ - التنزيه.

١٠ - كشف الارتياح في اتباع محمد بن عبد الوهاب.

١١ - معادن الجواهر ونزهة الخواطر في علوم الأوائل والأواخر.

١٢ - أعيان الشيعة.

١٣ - نقص الوشيعة.

١٤ - العلويات العشرون

مكانته

يحتل السيد الأمين منزلة مميزة على خارطة الفكر الإسلامي المعاصر وفي حركة النهضة الإسلامية الحديثة، سواء بالإنجازات التي حققها، أو بتأثيره من خلال أعماله وأقواله وورعه وتقواه في أوساط معارفه وتلامذته ومحيطه، أو بمؤلفاته الهامة والمتنوعة والغزيرة.

فقد كان السيد محسن الأمين إنساناً متواضعاً وقد تجسدت فيه كل معاني المحبة والمودة مع الآخرين وكان يجالس العلماء والمفكرين وبنفس المؤانسة التي يجالس فيها العاديين والبسطاء من الناس.

وكان في علاقاته مع الآخرين بمنتهى نكران الذات، لا شيء يحول بينه وبين ما يراه واجباً اجتماعياً وإنسانياً، فقد ضربت الكوليرا قريته وكان الأموات يتركون دون دفن خوفاً من العدوى، فلم يتردد بالتعاون مع رجل وامرأة الأكثر فقراً في قريته عن القيام بواجبات الدفن.

وقد سبقت هذه الحادثة حوادث مشابهة فعند دراسته في النجف الأشرف كان السيد الأمين يعتني بعشرات الطلبة الذين ضربتهم حمى خبيثة، وكان السيد الأمين يقوم بكل هذه الأعمال بفرح وسعادة.

فالصورة التي طبعت عن حياة السيد الأمين وسيرته هي صورة رائعة للرجل الذي ديدنه الاهتمام بالآخرين

وبكل صدق وإيمان وإخلاص وسعادة، ومن اهتماماته الأخرى والتي تنبع من حبه للآخرين وحرصه الشديد على حياتهم ومستقبلهم.

ولاقتناعه بأن التربية والتعليم هي أفضل الوسائل، أسس في دمشق مدارس للبنين والبنات، وشعر السيد بتخلف برامج التعليم فأنصرف بنفسه إلى تأليف الكتب الدراسية. وأخذ على أحد المدرسين تعصبه للأساليب القديمة قائلاً: لماذا علينا أن نفتفي بدون تفكير آثار من تقدمنا، لقد كانوا رجالاً ونحن لسنا أقل من ذلك. كما بذل جهوداً في تجديد وتطوير المواد التربوية وطرائق التدريس وكان من أنصار المدرسة الحديثة في التربية، لذلك فهو يرفض أساليب الترهيب والقمع والتخويف لأنها تحطم شخصية التلميذ وتعيق عملية الفهم بينما يساعده الترغيب والتشجيع والمديح على تحقيق الفائدة القصوى.

جهاده

عُرف السيد محسن الأمين بشهرته الواسعة في بلاد الشام وقد حقق أمجاداً جعلت منه موضع اهتمام المسؤولين والحكام الذين أخذوا يحسبون لمواقفه وآرائه ما تستحقه من منزلة. ولم يكن يتردد في اتخاذ المواقف التي تعود على أمته ووطنه بالخير والرشاد.

لقد عرف الفرنسيون قوة السيد الأمين ومنزلته فابتدعوا منصب (رئيس علماء) للشيعة في لبنان وسوريا وقرروا تعيينه بهذا المنصب وصدروا بهذا مرسوماً، اعتقاداً منهم بأنه سيقبل بذلك وبكل امتنان ولكنه فاجأ الموفد الفرنسي بقوله: (إنني موظف عند الخالق وسيد الأكوان ومن كان كذلك لا يمكن أن يكون موظفاً عند المفوض السامي).

كان السيد الأمين مقتنعاً بأن الأمم لا يمكن أن تتقدم وتتطور إلا في أجواء الحرية، من هنا أشعر بمواقفه الوطنية الحكيمة والشجاعة في آن معاً، فرفض التعاون بأي شكل من الأشكال مع الانتداب الفرنسي على الرغم من الاغراءات الكثيرة التي قدمت إليه، وكان الوحيد من بين الزعماء الدينيين الذي لم يقيم بزيارة المندوب السامي الفرنسي والوحيد الذي لم يزوره فرنسي بشكل يجرح أو يسيء إلى كرامة دينه ووطنه. وقد كان منزله ملتقى الوطنيين الذين فجروا الثورة السورية التي استمرت ما بين ١٩٢٥ و ١٩٢٨ وكانت أحداثه وتوجيهاته تلهم هؤلاء الوطنيين الصادقين في وطنيتهم ولما أبدوه من روح التسامح مع المواطنين بصرف النظر عن معتقداتهم وعقائدهم مما سمح لهم بمتابعة النضال.

وفاته

أمضى السيد محسن السنوات الثلاث الأخيرة من حياته في بيروت لأنه لم يعد يحتمل برد الشام القارص في الشتاء. وكان لا هم له إلا أن يرى تلك الآلاف من الصفحات التي أفنى عمره في كتابتها وقد استقرت بين دفتي كتاب مطبوع. تلك الأمنية التي رثاها على فراش الموت بقوله:

بكيت وما بكيت لفقد دنيا	أفارقها ولا خل أليف
ولكنني بكيت على كتاب	تصنفه يداي إلى صنوف
سيمضي بعد فقداني ضياعاً	كما يمضي شتاء بالخريف

ومرت الأيام ولم تخب أمانة السيد محسن الأمين فقيض الله تعالى ولده الباحث السيد حسن الأمين لتحقيق أمنيته فكان امتداداً معطاءً لأبيه.

وقد توفي السيد محسن الأمين منتصف ليلة الأحد ٤ رجب سنة ١٣٧١ الموافق ٣٠ آذار ١٩٥٢. فنعته الإذاعة اللبنانية وتجاوبت بنعيه سائر إذاعات العالمين العربي والإسلامي. وقد جرى لجثمان السيد تشييع رسمي. ورافقته جماهير حاشدة من بيروت الى دمشق حيث دفن قرب ضريح السيدة زينب (عليها السلام). وقد شارك في التشييع ممثلوا رؤساء الدول الإسلامية. كما ان رجال السلك السياسي العربي والإسلامي والمطارنة ورجال الأكليروس المسيحي اشتركوا في التشييع.

من قاموس الإمام الشيرازي

الكتاب في فكر الإمام الشيرازي (١)

محمد طالب

جاء في لسان العرب لأبن منظور: والكتاب ما كتب فيه والكتاب مطلق التوراة: وبه فسر الزجاج قوله تعالى: نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب. وقوله: كتاب الله، جاز أن يكون القرآن، وأن يكون التوراة، وقوله تعالى: (والطور وكتاب مسطور). قيل: الكتاب ما أثبت على بني آدم من أعمالهم. بالعقل فضل الله تعالى الإنسان وكرمه على سائر المخلوقات، فالتصورات والأفكار والقيم كلها هي نتاج للعقل، والكتاب نتيجة مقدمتها وجود العقل. فالكتاب إذن وجوده وغايته وقيمه مرتبطة تماماً بالإنسان بل وبأحب شيء خلقه الله في الإنسان وهو العقل. ومن هنا كان الكتاب محور الخطاب الإلهي في غار حراء مع أكرم المخلوقات محمد (صلى الله عليه وآله) وما يلفت إلى أهمية الكتاب أكثر في هذا الخطاب المقدس إنه كان في صيغة الأمر بالفعل: اقرأ، كما وأنه بالكتاب أنزل الله سبحانه الإسلام كاملاً على النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) في ليلة القدر مقدمة للإنسانية كمنهج للحياة والتكامل للوصول إلى رضوان الله. وقد وعد الله بحفظ القرآن (وإننا له لحافظون) وبحفظه تعالى للقرآن للأمة الإسلامية نبع الشرع الصافي الخالي من شوائب الوضع والتحريف وبذلك يبقى مصدراً أميناً لخير دنياهم وآخرتهم وعاصماً من الانحراف والزلل. وقد وردت لفظة الكتاب كمفردة ومفهوم ومصطلح في القرآن الكريم منها: (ذلك الكتاب لا ريب فيه) (البقرة: ٢). (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) (البقرة: ٤٤). (فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم أقرؤوا كتابيه) (الحاقة: ١٩). (وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه) (الحاقة: ٢٥، ٢٦). (وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها) (الجاثية: ٢٨). ولو رجعنا إلى نهج البلاغة لوجدنا روح القرآن يتحرك في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام): (كتاب ربكم مبيناً حلاله وحرامه، وفرائضه وفضائله، وناسخه ومنسوخه، ورخصه وعزائمه، وخاصة وعامة وعبره وأمثاله ومرسله ومحدوده، ومحكمه ومتشابهه).

١ - مقتبسات من مؤلفات سماحة الإمام الشيرازي (دام ظله).

وقال (عليه السلام): (في القرآن نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم).
من ذلك كله نستنتج أموراً:

١ - إن الكتاب نتاج سامق، له أبعاد تدخل في كافة تفاصيل الحياة الدنيوية والأخروية وله آفاق إنسانية وكونية.

٢ - إن الكتاب واجب ومسؤولية، على أمم الحضارة الراقية أن تأخذه وتعمل به وتحترمه.

٣ - إن هنالك كتباً مقبولة ومحترمة وأخرى غير مقبولة.

ومن هنا كان للكتاب حدود وضوابط، ويروى عن سالف الأدباء والعلماء إن لعملية كتابة الكتاب سبعة أغراض لا يؤلف عالم عاقل إلا فيها: اختراع جديد، واثمام ناقص، وشرح غامض، واختصار طويل، وجمع متفرق، وترتيب مختلط، وتصحيح خطأ. والذي نراه اليوم من اختفاء لهذه الصفات في الوقت الحاضر - إلا عند القليل، فهو لغياب الغرض المحدد لها.

كما أن الكتابة عمل إبداعي لا يتم إلا في إطار المجتمع ومن خلال تفاعل حقيقي وصادق مع شتى مواقف الحياة وهو ما يجب أن يكون عليه الكتاب.

والكتاب ثقافة غايتها ترفيق المشاعر وإرهاف الأحاسيس، والنظرة إلى الأشياء والأشخاص والأحداث بعين الحب واللفظ والتسامح، والتفاهم بخلقية جمالية وإنسانية رقيقة.

والكتاب لا يختص بعهد أو حقبة أو قرن، وإنما هو رائد لكل الأجيال وعلى مدى الحياة، الكتاب حوار، فالأصوات كثيرة ووجهات النظر بعضها متقاربة، وأكثرها متباعدة إلى حد التناقض، وليس هذا بسييء وإنما السييء فيها إذا اختلطت وتلاطمت ولا يميز فيها الخيط الأبيض من الأسود، الكتاب سجل العظماء، نطلع فيه على سيرتهم، ونتعرف على أفكارهم وننسجم معها، ونتألف مع أرواحهم ونحقق أمنياتهم التي لم يحققوها في حياتهم، ونحافظ على أدبهم وتراثهم، ونحفظ العهد معهم، والكتاب رفيق الإنسان شاء ذلك أم أبى، فأعماله وأوراده من يوم مولده إلى انقطاعه عن الدنيا فيبعث للحساب والجزاء كل ذلك في كتاب، وآخر المطاف فالكتاب هو آخر شهادة يستلمها بيده فيرفعه الذي كان من الصالحين في يمينه ويقول: هاؤم إقروا كتابيه، أما الذي كان من غير الصالحين فيقول: يا ليتني لم أوت كتابيه، فأخر موقف للإنسان لا يملك إلا كتاباً.

شمولية وموسوعية

عندما ينظر الإنسان إلى حديقة أزهار يحترق أي زهرة يقطف، ولكن ما هي إلا لحظات حتى تراه ينساق بقلبه وبروحه إلى واحدة فيقطفها ويشمها ويستنشق بعرق عطرها وزاكي رائحتها، وإذا ما دخلت مكتبة صديق ووجدت بها ما يقارب الألف وأربعمائة كتاب وأكثر سينالك العجب لما بذله صديقك من جهد لقراءتها والتزود من علومها ومعارفها... ولكن هل فكرت فيما إذا كانت هذه الكتب كلها من الذي كتبها واحد فقط نعم عالم كتب كل ذلك بمفرده، فسمي نابغة الدهر لما تحتويه هذه الكتب من موسوعية وشمولية وضخامة وتفاصيل وعلمية أخاذة.

إنه الإمام السيد محمد الشيرازي .

فالإمام الشيرازي (دام ظله) لا أظن به رقيقاً للكتاب فقط، وإنما الكتاب رفيق للسيد وصاحبه لما يكنه السيد

من احترام للكتاب وحرص شديد على ملازمته ولما يبذله من جهود غير عادية لخدمته وإنتاجه، وقد شكل بهذا (رمزية) فريدة تستقطب الاهتمام وتلفت النظر.

ونظرة منا إلى قائمة مؤلفاته، كما يقول أحد الكتاب تبين أنه لم يترك أي مجال من المجالات التي يهتم بها الإنسان المعاصر من دون أن يشرح موقف الإسلام حوله.

(الكتاب في فكر الإمام الشيرازي، ص ١٨٣ - ١٨٤، حسن آل حمادة)

ونذكر بعض منها:

١ - تفسير تقريب القرآن إلى الأذهان ٣٠ جزء.

٢ - التفسير الموضوعي للقرآن الكريم. ١٠ مجلدات

٣ - وسائل الشيعة ومستدركاتهما ٤٠ مجلداً

٤ - فقه الزهراء ٦ أجزاء

٥ - الفقه ١٥٠ جزء

٦ - شرح الصحيفة السجادية ٣ مجلدات

٧ - توضيح الدعاء والزيارة ١٠ مجلدات

٨ - المجموعة القصصية ١٠ مجلدات

٩ - الوصول إلى كفاية الأصول ٥ مجلدات

١٠ - الوصول إلى الرسائل ٥ مجلدات

١١ - الأصول ٨ مجلدات

١٢ - دراسات في الأصول ٥ مجلدات

١٣ - تقارير الأصول ١٠ مجلدات

١٤ - الدين والسعادة ٦ أجزاء

١٥ - الفضيلة الإسلامية ٤ أجزاء

١٦ - في العلوم الاجتماعية ٣٧ كتاباً

١٧ - في الكلام والفلسفة ٦ كتب

١٨ - في الثقافة الإسلامية أكثر من مائة كتاب

١٩ - في اللغة والأدب ١٨ كتاباً

٢٠ - في الأديان ١٤ كتاباً

يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام):

(إن أولى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جاؤوا به) نهج البلاغة: ٤٢٢.

وفي جانب مهم آخر يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (من نصب نفسه للناس إماماً فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم) نهج البلاغة: ٤١٧.

من هنا كان الإمام الشيرازي (دام ظله) فيما يتعلق بمسألة الكتاب إنه لم يدع الناس لرفقة الكتاب والانتكباب

على مطالعته والاستغراق في دراسته وبذل الجهد الكبير والسعي الحثيث لتأليفه، إلا بعد أن قام هو بذلك، ولكن لو أنه اكتفى بذلك لم يكن أمراً متميزاً وفريداً ولكنه قام بالكتابة والتأليف بالصورة التي تحدثنا بها أعلاه، فلم يرد السيد التحية بمثلها ولكن بأحسن منها.

الكتاب وحياة الأمم

يقول السيد الشيرازي عن دور الكتاب في حياة الأمم (الأمم الحية دائماً تهتم بالكتاب كل الاهتمام: بينما الأمم الميتة لا تهتم به أي اهتمام)

(السيد محمد الشيرازي، الكتاب من لوازم الحياة، ص ١١)

ويقول: (ولو راجعنا تاريخ العثمانيين الذين حكموا خمسة قرون لرأينا أنهم أداروا ظهورهم للكتاب، وعلى يدهم سقطت الدولة الإسلامية في حال كان الغرب في زمانهم يسعى سعياً حثيثاً للتقدم العلمي، هذا ما حدث في السابق أما الآن فمن الضروري الاهتمام بالكتاب النافع، لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً).

(السيد محمد الشيرازي، نفس المصدر، ص ١٦)

ويرى الإمام الشيرازي ضرورة تذليل مسألة أسعار الكتاب ليتم تداولها على مساحة أكبر ولمناطق أوسع لإعداد الأمة وتوعيتها فيقول: (ضرورة أن يكون الكتاب أرخص من رغيف الخبز، لأن الكتاب معناه توعية الأمة وتنقيفها، والتوعية تساوي الحرية، والحرية هي التي تصنع الخبز كما تصنع التقدم والازدهار).

(السيد محمد الشيرازي، الوصول إلى حكومة واحدة إسلامية، تعليق الناشر ص ٢٠)

كما أن السيد الشيرازي ونظراً للتقدم العلمي والانفجار الكبير في اكتشاف عالم الاتصالات وتقنياتها والكمبيوتر والانترنت، يلفت الانتباه إلى مراعاة ذلك والاهتمام به وعدم التغافل عنه فيقول: (وليس معنى الاهتمام بالكتب ترك غيرها من الوسائل التعليمية كالإذاعة والتلفزة والصحف والإنترنت والأشرطة وما أشبهها من الوسائل الثقافية السمعية والبصرية، وحتى اللسنية بالنسبة إلى العمى، بل كل ذلك مهم، وإنما ذكرنا الكتب من باب أنها الأيسر الممكن في كل زمان ومكان عادة).

(السيد محمد الشيرازي، ثلاثة مليارات من الكتب)

ويتحدث سماحته مشجعاً على التأليف قائلاً: (وما أكثر المثقفين القادرين على الكتابة في بلاد الإسلام سواء كان المثقف حوزوياً أو أكاديمياً، وما أكثر المثققات القادرات على تأليف الكتب وإن كن أقل من الأول، فكان لابد من تشجيع الطائفتين على الكتابة وتسهيل طبع الكتاب لهن.. إن الحوزة العلمية في قم المقدسة وحدها - في الوقت الحاضر مع قطع النظر عن حوزات سائر البلاد - تشمل زهاء أربعين ألف طالب علم كما يقولون، ولنفرض أن كل واحد منهم يؤلف كتاباً لا أكثر، يصبح لدينا أربعون ألف كتاب، ولو طبع كل كتاب ألف نسخة يكون الحاصل أربعين مليون كتاب، أليس هذا شيئاً كثيراً).

(السيد محمد الشيرازي، الكتاب من لوازم الحياة، ص ٤٤ - ٤٥)

وقد عرف عن السيد الشيرازي رؤيته الشمولية للأمور وتفاصيل مناحي الحياة، فهو لم ينسى دور المرأة في المجتمع وصناعة الأجيال وكتابة الأمجاد، فيعمل أولاً على أسماعنا بمعلومة طيبة تثير الانتباه فيذكر على أن: أول مؤلفة في الإسلام هي السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) فلها كتاب هو مصحف فاطمة.

(السيد محمد الشيرازي، شهر رمضان شهر البناء والتقدم، ص ٥٥، من الهامش)

كما أن السيد عمل من خلال توجيهاته ومؤلفاته وبأسلوب علمي يعرف فيه النفس وآفاقها وما قد تخلد إليه للراحة والاستغراق في مشاكل الحياة البسيطة والغفلة عن أمور الإسلام والمسلمين فيعمل على تحفيز واستنهاض الهمم والعزائم للذود عن حياض الإسلام وذلك بكشف ما يعمل العدو عليه وما يضره من غلٍ وحقدٍ للإسلام والمسلمين.

يقول الإمام الشيرازي (تشير بعض الإحصاءات إلى أن ٧٥% من الأفلام التي تعرض على الشاشات التلفزيونية في العالم هي أميركية وأن ٥٠% من البرامج التي تبثها التلفزيونات في العالم هي أميركية أيضاً، وأن التاجر اليهودي حروخ يمتلك ٦٣% من الصحف اليومية في استراليا وأميركا ويملك ٥٩% من ملاحق يوم الأحد في البلدان المذكورة).

(حسن آل حمادة، الكتاب في فكر الإمام الشيرازي، ص ١٠٦، ١٠٧)

إن ما تنتجه إسرائيل من الدوريات سواء كانت عامة أو متخصصة يزيد على ما تنتجه كل الدول العربية مجتمعة، حيث يربو ما تنتجه إسرائيل على الألف.

(السيد محمد الشيرازي، السبيل إلى إنهاء المسلمين، ص ٣٠)

مع أن (بينها أمهات الجرائد العالمية، وذلك أحد أسباب تمكنها من كسب الرأي العام الغربي بل والعالمي إلى جانبها رغم كون الإسرائيليين غاصبين ومحتلين، ورغم أن عددهم لا يتجاوز العشرين مليون نسمة.

(السيد محمد الشيرازي، انفقوا لكي تتقدموا، ص ٦)

ولكي تكون عوامل المقاومة مكتملة لإفشال مؤامرات أعداء الإسلام ولما تقتضيه من إمكانيات غير عادية، تناول الإمام الشيرازي - مسألة جمع الأموال - لطباعة الكتب وتوزيعها، فقد نشر كتاباً له بعنوان (انفقوا لكي تتقدموا) وهو - كما يقول - حقيقة مائة في المائة، (لولا سيف علي ومال خديجة لما تقدم الإسلام) ولولا بذل الأغنياء وتنظيم المال لصرفه في المصالح العليا لم يتقدم الإسلام ولا الأغنياء من المسلمين.

(السيد محمد الشيرازي، الكتاب من لوازم الحياة، ص ٣٨)

ويؤكد على أن (من اللازم جمع المال للكتاب حتى يؤمن الناس به ويندفعوا إلى الكتاب بأنفسهم كاندفاعهم في الحال الحاضر إلى مجالس الاحتفالات والأعراس ومجالس الفرح حيث صارت جزءاً من حياتهم).

(السيد محمد الشيرازي، الكتاب من لوازم الحياة، ص ٤٠ - ٤١)

كما يطرح السيد الشيرازي أفكاراً ومشاريع لتذليل مهمة تهينة الأموال خدمة للكتاب فيذكر في كتابه (الكتاب من لوازم الحياة) فكرة الأثاث لطبع الكتب، فيقول: (كثير من الخيرين يوصون بثلاث الإرث من بعدهم لأعمال الخير والبر إما مطلقاً أو لبعض الخيرات كالإطعام وتزويج العزاب وكفن الأموات الذين لا يملكونه وما أشبه، وكل ذلك حسن، ولكن من الحسن أيضاً أن يوصي الموصي كل ثلثه لأجل إعطاء التفاوت، مثل أن يطبع الكتب الأربعة بتكاليف عشرة دنانير لكن الناس غالباً لا يشترونها بأكثر من ستة دنانير فيعطي الأربعة الأخرى من الثلث، وقد وجدت مثل هذا التحقيق في الصحاح الستة التي طبعت في مصر، حيث رأيت قيمتها أقل من التكاليف، ولما سألت عن السبب قالوا التفاوت من تبرع الأثرياء).

وختاماً.. إن للكتاب أهمية كبيرة ودوراً قيادياً ويمثل جانباً حضارياً رائعاً، فبقدر ما نكون مع الكتاب يكون

معنا، وبقدر ما نعطيه يعطينا، ولم تكن أهمية الكتاب نابعة من ذاته، وإنما لما يقدمه من خدمات جليلة للإنسانية
فينير لها الظلمات ويفتح لها الأبواب ويشحذ العزائم والهمم والأذهان ويربي الأجيال، وكما قيل:
أعز مكان في الدنا سرج ساجح وخير جليس في الزمان كتاب

مقالات

العولمة لون جديد من الهيمنة والتسلط

محمد ثابت

تمهيد

على الرغم من القاعدة الاقتصادية التي تأسست عليها فكرة العولمة.. إلا أنها أخذت صفتها الشمولية - التعميمية بما يحولها إلى فكرة مستوعبة إلى كافة أبعاد ومجالات الحياة الأخرى، وذلك من خلال المراكز التي روجتها كأطروحة والرؤى التي عالجتها مضامينها وأهدافها ونتائجها.. وفي خضم هذه المعالجات لم ينصب التركيز على الهدف الأساسي للعولمة، وهو الهدف السياسي بما فيه الكفاية، بقدر ما أنصب على تعريفها وإمكانية تحقيقها وضرورة إلحاق بها وآليات الانخراط فيها، وآثارها ونتائجها الاقتصادية والاجتماعية، واسقاطاتها على سيادة الدولة وإضعاف الهوية ومضامينها الثقافية .

وواقع الحال ان العولمة وان انتظمت بعض العناصر التي يمكن أن تعطىها صفة الاتساق والتجانس، وارتكزت على واقع تقني - اتصالي - جيوسياسي ونمط انتاجي، رأسمالي، إلا أنها ومنذ اللحظة الأولى كانت عنواناً افتراضياً - اختبارياً فضفاضاً ذو أهداف أيديولوجية - سياسية، والغريب في الأمر أننا تعاطينا معها بجدية أكثر مما ينبغي، ناظرين إلى منظومة العناصر المنسجمة فيها بعيداً عن منظومة أخرى مناقضة تماماً لها وتشكل جزءاً من بنيتها المفترضة، فالعولمة تحمل نقيضها معها، أي إنها فكرة متناقضة أملت لها مرحلة انتقالية يجتازها العالم، وأريد لها أن تملأ الفراغ الذي أوجده انهيار الاتحاد السوفيتي القديم وكما يقول أحد الكتاب: ولعلنا بالرجوع نصف قرن إلى الوراء، إلى الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، نجد أن من المفاهيم والنظريات السياسية الجديدة التي ظهرت عهدئذ، نظرية (ملء الفراغ) خاصة في منطقة الشرق الأوسط، أو بعبارة أدق في المنطقة العربية.

وكان هذا المفهوم يقوم على أساس أنه بانسحاب بريطانيا من المنطقة العربية، كإحدى النتائج التي أسفرت عنها الحرب، فإن هذه المنطقة باتت في حالة فراغ، وأنه لا بد للقوة الجديدة التي كان لتدخلها في الحرب الأثر القوي في انتصار الحلفاء، من أن تملأ هذا الفراغ، وأن هذه القوة الوليدة صارت هي الأحق بهذه المنطقة، وبمناطق أخرى من العالم، تمارس عليها سيادتها، إن لم تكن السيادة القانونية المباشرة، فلا أقل من أن تكون السيادة الفكرية والثقافية، والهيمنة السياسية والاقتصادية.

العولمة نقيض الديمقراطية

وإذا عدنا إلى عصرنا الراهن، وبالتحديد إلى فترة أوائل التسعينيات، نجد أن نظرية (ملء الفراغ) التي فرضت على مسرح الساحة الدولية قبل خمسين سنة، قد أعيدت صياغتها بما يتلاءم ومقتضيات الوضع العالمي الجديد، وفي شكل ينسجم مع التطورات العاصفة التي عرفها العالم إلى اليوم، وبما يستجيب لتطلعات القوة التي خرجت منتصرة من الحرب الباردة، فهل لنا أن نعدّ فكرة العولمة، أو نظرية العولمة، طبعة جديدة من نظرية (ملء الفراغ)؟ (١)

فهو إذن مشروع سياسي أميركي جديد عبر عنه روبرت كيهان من وجهة نظر أميركية صرفة (مبرراً المشروع قائلاً: إن الهيمنة تخلق الاستقرار بواسطة إحكام مجموعة من قواعد اللعب) (٢). وبهذا التعبير تتجلى مظاهر التناقض بشكل واضح، فالعولمة وفق هذا التعبير لم تكن تعميم النموذج الرأسمالي بكل أبعاده على العالم لإيجاد ما يسمونه بالقرية الكونية أو المدينة الكونية، إنما هي عولمة مفروضة بالهيمنة لإدارة العالم سياسياً، فالتعميم يندم هنا في ظل حالة من التعارض الجذري بين النمط الانتاجي الاحتكاري وبين الشكل السياسي الديمقراطي الذي يتلزم افتراضياً في تعميم النموذج الرأسمالي على العالم، فهذا النمط الانتاجي ورأس المال الاستثماري تأسس على قواعد لا مشروعة من الاستغلال، وفرض سياسة النهب الاستعماري لثروات الشعوب أو ما يسمى بعالم الجنوب، وهذا ما لا يتم إلا عبر الهيمنة التي تعارض الديمقراطية وهذا ما يعبر عنه وليام روبنسون بالقول: (بأن العولمة معادية للديمقراطية في جوهرها. فالعولمة حسب وصفه انتهازية وطفيلية، وهي لا تستجيب لمطالب قطاعات شعبية واسعة.. ويدلل على ذلك بازدياد معدلات الفقر والشفاء الإنساني رغم ارتفاع معدلات الانتاجية وزيادة الثروات) (٣).

أو ما يعبر عنه جاك أتالي بالقول أن (الخطر الأساسي الآن ناجم عن التناقض بين اقتصاد السوق والديمقراطية إذ حين يتناقض مفهومان يجب أن تكون اليد العليا لأحدهما على الآخر كحصيلة لهذا الصراع).

اقتصاد السوق.. والديمقراطية

ويبدو واضحاً وفي كل الساحة العالمية بأن اقتصاد السوق أكثر دينامية من الديمقراطية إذ ثمة أطراف قوية تدعمه فالبحث عن الأموال لتمويل الحملات الانتخابية وانتشار الفساد وتوسع الاقتصاد الإجرامي، كلها علائم على صعود وتفوق اقتصاد السوق على الأخلاقيات الديمقراطية (٤).

و(يشدد جاك أتالي الفيلسوف الفرنسي على أن أي جهد لتجنب هذه الكارثة يجب أن يبدأ من الاعتراف بأن زواج الديمقراطية مع اقتصاد السوق يعاني من ثلاث شوائب رئيسية: الأولى، إن المبادئ الموجهة لاقتصاد

-
- ١ - الهوية والعولمة من منظور حق التنوع الثقافي. د. عبد العزيز التويجري. الشرق الأوسط ١٩٩٧/ ٥/٩.
 - ٢ - العولمة: اختراق الغرب للقوميات الاسيوية.. متغيرات النظام الدولي القادم: رؤية مستقبلية. سيار الجميل.
 - ٣ - ملاحظات حول العولمة وتناقضاتها. حسن الأشهب. نشرة في جريدة الاتحاد على ثلاث حلقات بتاريخ ١٦ - ١٧ - ١٩٩٧/ ٧/١٨.

٤ - ستمدم الديمقراطية.. وتنسف الحضارة الغربية. جاك أتالي.

السوق والديمقراطية، لا يمكن تطبيقها في الكثير من نواحي المجتمع الغربي. والشائبة الثانية، إن هاتين القيمتين (أي السوق والديمقراطية) غالباً ما تناقضان بعضهما البعض والأرجح أن يتصادماً بدل أن تسيراً جنباً إلى جنب.

والشائبة الأخيرة، إن كلا منهما يحمل في طياته بذور دماره الذاتي. وعلى سبيل المثال، وبرغم كل اللغو حول أولوية الديمقراطية وقداستها فإن قلة من الدول الغربية بما في ذلك الولايات المتحدة قد تؤيد وترحب بقيام أسرة عالمية تسودها الديمقراطية (١).

وقد لا يحتاج الباحث إلى المزيد من البراهين لإثبات هذا الكلام المتقدم، فإذا كانت التجربة أثبتت بأن أميركا سمحت لشعار الديمقراطية أن يرفع في بعض دول العالم، لا سيما في العالم العربي، أو إذا سمحت لنماذج من الديمقراطية الشكلية أو نماذج لربع ديمقراطية في بعض الدول، فأنها كانت ولا زالت تضع فيتو حاد على تطبيق الديمقراطية في العديد من دول العالم، لا سيما العالم العربي لا بل إنها تعمل وتسهر على تدعيم الدكتاتوريات وحمايتها وفرضها، ولعل النموذج العراقي هو النموذج الصارخ في هذا الإطار. إذن ففي أي عولمة نتحدث أميركا، وعن أي شكل سياسي لها؟، عولمة تعمم الديمقراطية أم عولمة دكتاتورية، عولمة الهيمنة كما نظر لها كيهان.

إنها إذن عولمة متناقضة سياسية، فهي بقدر ما تبدو ذات هيمنة سياسية فإنها لا تسعى إلى تعميم نموذجها السياسي الديمقراطي بقدر ما تسعى إلى تعميم نقيضه الدكتاتوري.

وانطلاقاً من هذا الإدراك بدت العولمة مرفوضة حتى من قبل بعض الأصوات الأوربية (فالزيم الاشتراكي الفرنسي (جوسبان) - على سبيل المثال - دعا فور فوزه بالسلطة إلى (الوقوف في وجه العولمة بصفتها الشكل الأعلى من أشكال الرأسمالية).

عولمة الأزمة

قال (جوسبان): إن قوى السوق (أي العولمة) لا يمكنها حل مشكلاتنا الاجتماعية، ونحن يجب ألا نترك أوروبا لقمة سائغة لقوة السوق (٢).

وكما يقول برهان غليون (على الرغم من كل الوعود المتكررة بالانتعاش الاقتصادي، فإن النتيجة الأولى لاستراتيجية التكيف مع العولمة هي عولمة الأزمة. ففي البلدان الصناعية، لم يتحقق بعد النمو الذي كان يُعول عليه لحل مشكلة البطالة. وفي الاتحاد السوفيتي سابقاً، هناك انهيار سياسي واقتصادي، بل فوضى. أما في بلدان العالم الثالث فيسود الإحباط. عدد صغير من البلدان فقط - النمر الآسيوية تحديداً، وربما الصين - يستفيد من العولمة على ما يبدو، البلدان الصناعية الجديدة تقدم من خلال العمل على التقليل الأقصى للأعباء الاجتماعية والاخلال بانضباط سوق العمل، مثلاً عن معنى سيطرة محكمة على آليات التنافس الدولي) (٣).

١ - ستمدم الديمقراطية.. وتنسف الحضارة الغربية. جاك أتالي.

٢ - العولمة: حلم ونعمة... أم كابوس وكارثة؟! جريدة القبس ١٤ / ٩ / ١٩٩٧.

٣ - العولمة وخطر الانفجار: مقترحات لبناء خيارات بديلة. برهان غليون. شؤون الأوسط. حزيران ١٩٩٧.

وبالتأكيد أن العولمة كما طرحتم ستؤدي الى حالة من التناحر والصراعات (ويورد (مايكل كلير) أسباب عديدة لتفجر هذه الصراعات. فالأسباب عنده اقتصادية واجتماعية وبيئية، ويتعلق إجمالها في الضغوط المتصاعدة على بيئة محدودة الموارد، وتزايد الهوة بين الفقر والغنى، وارتفاع معدلات الزيادة السكانية، وزيادة عدد السكان الذين يعيشون في مستوى الفقر وفي مدن الصفيح، وازدياد معدلات البطالة والتهمة. وكل هذه العوامل تكتسب قوة دفع كبيرة بسبب تآكل بنى الدولة مما يدفع البشر في هذه البلدان إلى التحول عن الولاءات الوطنية إلى ولايات قبلية وعشائرية وجبهوية، للتعويض عن انعدام الموارد والخدمات المقدمة من قبل الدولة (١).

ومن هنا طرح (دولفوس) السؤال: هل العولمة جنة أم جحيم؟ لكنه لم يتردد كثيراً أمام الإجابة، إذ أنه انحاز بسرعة إلى (خيار الجحيم) فهو بعد أن شدد على إيجابيات العولمة، يعود ليقول إنه كما أن الثورة الصناعية قادت إلى ظهور مجتمع جديد بعد سلسلة متصلة من المآسي، في نهاية القرن التاسع عشر، فإن العولمة ستقود حتماً إلى حالة من (الكارثة) (٢).

من خلال ما تقدم يمكن القول بإيجاز:

أولاً: إن العولمة تقوم على ثنائية - متناقضة وهي ثنائية الرأسمال والديمقراطية، وهي ذات هدف سياسي استعماري يسعى إلى تعميم النموذج الرأسمالي بآليات دكتاتورية بدل أن يعمم نموذج الديمقراطية.

ثانياً: إن العولمة كما النظرية الاشتراكية - الماركسية مع الفارق الجوهرى في الاطار الفكري والفلسفي بين النظريتين تثبت أن الأساس الاقتصادي لا يكفي لوحده أن ينتج نظاماً كونياً - عالمياً عادلاً، إذ لا بد لأي نظرية تنتج هذا النظام من قاعدة أخلاقية وأخرى روحية تكفلان عدالة هذا النظام.

ثالثاً: إن العولمة بشكلها القائم والمطروح وكما توقع لها كل الخبراء ستنتهي بالعالم إلى أشكال من الفوضى والصراعات المحلية العرقية، أو الصراعات المحلية - الدولية.

ولعل ما حصل في أميركا في ١١ سبتمبر بغض النظر عن توصيفاته الإرهابية أو غير الإرهابية، وما تبعه من سياسة أميركية مرتبكة ومستعجلة، وما أدت إليه هذه السياسة من أحداث في أفغانستان، لعل كل ذلك لا ينفك بشكل من الأشكال عن مقولة الصراعات التي تهدد العالم في عصر العولمة الأميركية التي أريد لها أن تملأ الفراغ بقيادة القطب الأوحى وأن تعمم نموذجها بتلك الأطروحة المتناقضة.

رابعاً: إن أزمات وقضايا الشعوب في العالم بدت حتى الآن أكبر من أن تستوعبها أطروحة العولمة الفضفاضة، العولمة المفروضة والمدارة أميركياً. ولعل قضية فلسطين هي واحدة من أهم وأخطر القضايا التي أثبتت الأحداث أن احتوائها في ظل سياسات غير عادلة يكاد يكون أمراً مستحيلاً. فمع متانة مشروع ثنائية الفقر والغنى هنالك ثنائيات أمتن تحكم هذا الكون والإنسان، ثنائية الإنسان - الأرض وثنائية الظلم - العدوان، وثنائية الهوية - الذوبان الاستلابي، وثنائية الخصوصية - والتعويم.

١ - ملاحظات حول العولمة وتناقضاتها. حسن الأشهب. نشرة في جريدة الاتحاد على ثلاث حلقات بتاريخ ١٦ -

١٧ - ١٨/٧/١٩٩٧.

٢ - (العولمة) قدر لا مفر منه.. ولو لم تكن رأسمالية لكانت شيوعية. جاكى دوفيشيان. السفير ١٩/٨/١٩٩٧.

خامساً: إن مناهضة العولمة قد بدأت فعلاً عبر حركات واحتجاجات اجتماعية وأعمال نخبوية وهي أعمال مناهضة صاعدة سواء بوسائل سلمية أو عبر انفجارات اجتماعية أو عنفية مفاجئة، وإذا كان هذا الجهد بحاجة الى تنظيم، فإن الحديث عن عولمة بديلة للعولمة القائمة امر مشكوك فيه في الوقت الراهن، فالخيار المتاح الآن هو خيار فضح وكشف آثار وتناقضات هذه العولمة ومقاومتها وعرقلتها.

مقالات

الغرب وخطط الفساد الاداري

علي الرماحي

دور التخطيط في السياسة الاقتصادية

يلعب التخطيط الاقتصادي دوراً أساسياً في توزيع الأموال لبناء المشاريع الكبيرة. ولهذا فإن مشروع توزيع الأموال السنوي يعتبر أحد أفراد المخطط الأول ويعد مقياساً لتداول وتحديد ورود الأعمال، لا سيما في الاقتصاد الآخذ بالاتساع والذي تسوده روح التجديد. وقد يكون هذا التخطيط طويل الأمد أو متوسط كالمخطط الموضوعة لخمس سنوات والخطط التي يجب أن تنفذ فعلياً وهذا النوع من التخطيط الذي يسمى التخطيط الحتمي قد يتعرض أثناء التنفيذ لتعديلات شتى.

أما الخطط السنوية الموضوعة لأمد طويل فقد تُحوّل بدافع الحداثة والتقدم التقني ونتيجة لظهور حاجات جديدة إلى برامج بسيطة تعرب عن أهداف المجتمع الذي يوجهها بلغة التخطيط الكمي.

وإلى جانب هذه المخططات تظهر مخططات أخرى معينة تتعلق بفرع الاقتصاد أو بمنطقة ما. كمخطط تربية المواشي الذي عد لثلاث سنوات أو مخطط تحسين صناعة الأغذية أو ما شابه ذلك..

وما يهمنا في هذه المقدمة هو بيان نقاط الخلل التي تصيب ماهية التخطيط في بعض البلدان أو أساليب وأصول وضع المخططات مما يؤثر في مشروع المخطط الاقتصادي لها بعد تجاوزه مقاييس المعطيات الحسابية للميزانية العامة لها وهذا الخلل يطلق عليه الفساد الإداري أو الفساد التنظيمي.

أخطار ظاهرة الفساد

لقد أصبحت ظاهرة الفساد الإداري لبعض البلدان تشكل امتداداً لا بد منه نتيجة التأثير بسطوة النمط الغربي في كلا القطاعين العام والخاص لذا فإنها باتت تضر بالعمليات التشريعية والإدارية وعمليات التنظيم والتخصص. وقد جرى فضح المعاملات الفاسدة بين عالمي الأعمال والسياسة على أعلى المستويات في السنوات الأخيرة في عشرات من البلدان الصناعية والنامية مثل اتساع نطاق العمليات التي تقوم بها دوائر المخدرات الدولية كمصدر خصب في ميزانيتها الاقتصادية الخاصة، كما أن التوسع في أنشطة الجريمة المنظمة والذي يتجلى بصفة خاصة في بعض البلدان السابقة، يعتبر مصدراً آخر.

وبالمثل فقد بلغ دور المافيا في مجال الفساد على جانبي المحيط الأطلسي حداً خرافياً في ظل الأنظمة الغربية والحكام المستبدن التي تطلق على نفسها بالأنظمة الديمقراطية. بعد أن سربت مبالغ هائلة كانت مودعة في

الخزائن الحكومية إلى البنوك في الخارج وهكذا تم نهب شعوب تلك البلدان بالفعل.

يقول الإمام الشيرازي: (على الإدارة الغربية مآخذ كثيرة كجعل السلاح سيد الموقف، والإفقار العام للكثير من شعوبهم وشعوب سائر العالم، والاستعمار، ومن ذبول الاستعمار عدم إنقاذ الأمم المستضعفة، وإنما خصوا الحرية لأنفسهم، ولا أدل على ذلك من اعترافهم بالإقلابات العسكرية وسكوتهم عن الحكومات الوراثية أو غير الوراثية الظالمة التي تفعل بالشعوب ما تشاء من القتل والسلب والكبت والإرهاب والتشريد والسجن والتعذيب وغير ذلك).

وتنشأ أغلب الفرص لحالات الفساد الضخمة في البلدان النامية في المعاملات التي تتم بين السياسيين والمسؤولين في هذه البلدان من ناحية وقطاع الأعمال في البلدان الصناعية من ناحية أخرى. فهذا القطاع والذي يتضمن صناع الأسلحة يكون مستعداً في أغلب الأحيان لتقديم الرشوة من أجل الحصول على العقود وحيازة الصفقات. ولم يكن مجتمع رجال الأعمال في العالم الغربي على مستوى المسؤولية المنوطة بهم لضمان التزام أعضائه باتباع القواعد الأخلاقية في معاملاتهم التجارية. إن الخضوع للمساءلة لا يمثل علاجاً ناجعاً للفساد. وكذلك لا يشكل ضماناً ضد ممارسة الفساد كما تؤكد الأنظمة الغربية التي يقال عنها أنها أنظمة ديمقراطية، وفي أي مجتمع حر لديه وسائل إعلام نشطة ومستقلة وأي مجتمع مدني يقظ يوفر الفرص لاكتشاف وفضح الفساد والمعاقبة عليه كذلك يعد الموظفون العموميون الذين يحترمون أسمى تقاليد الخدمة الجماهيرية خط دفاع آخر ضد انتشار الممارسات الفاسدة في حين يظل العمل داخل نطاق المجتمع إجراء حاسم، إن هناك مجال واسع للتعاون بين الهيئات المحلية لتنفيذ القانون. ليس في مجالات نوعية مثل التجارة في المخدرات فحسب بل أيضاً في مكافحة الفساد على النطاق العالمي بوجه عام.

دور الغرب في عملية التخريب الاقتصادي

لقد أكدت التجارب الأخيرة الحاجة إلى اتخاذ إجراءات مبكرة ضد العصابات الإجرامية (المافيا) قبل أن يتوفر لها الوقت لتحسين نفسها. إن سياسة ممارسة إفساد الذمم التي نفذتها الإدارة الأمريكية ودول الغرب اتجاه بلدان العالم الثالث أدت إلى العمل لتدارس هذه السياسة من قبل بعض السياسيين والحكام في الدول النامية ولذلك وفي عام ١٩٩٠ عقدت ما سميت في وقتها لجنة الجنوب برئاسة رئيس جمهورية تنزانيا السابق جوليوس ناييري لتخرج بتقرير يتناول قضية الفساد وقد عقدت تحت عنوان التحدي الذي يواجه الجنوب ويقول التقرير في بعض فقراته (في الجنوب يتسبب التركيز المفرط للسلطة الاقتصادية في أيدي الحكومة وقطاع الشركات في الفقر وانعدام الأمن وضعف أجور الموظفين العموميين وفي حدوث بعض تلك الممارسات غير المرغوب فيها وهذا ما تفعله أيضاً المؤثرات المسببة للفساد القادمة من مصادر من الشمال والمرتبطة بالحصول على عقود مربحة من تجارة الأسلحة والاتجار غير المشروع في المخدرات).

وبغض النظر عن تلك العوامل التي ذكرناها لكم يجب أن تتحمل حكومات الغرب جانباً كبيراً من المسؤولية عن الفساد في الجنوب فهي في الأعم الأغلب لم تنظر إلى استئصال الفساد على أنه أمر ذو أولوية على الرغم من تسليمها بتكاليفه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ويمكن لمستويات أعلى من النزاهة في الحياة العامة أن تحقق الكثير من أجل تعزيز ثقة الشعب في الحكومات والإحساس بالمسؤولية المجتمعية والمدنية ولا تتعلق

القضية بالفساد في المجتمع الغربي بل تتعلق أيضاً بتسهيل الفساد داخل المجتمعات الأخرى من خلال استغلال ضعاف النفوس في تلك المجتمعات والأوضاع الاقتصادية المتردية فيها وكذلك سوء الإدارة الحكومية والنزعة الاستبدادية والنزعة العسكرية لدى تلك المجتمعات.

لقد وجد المفسدون في الغرب وأميركا أرضاً خصبة في البلدان النامية لممارسة الفساد فيها وهدموا القيم الأخلاقية داخل مجتمعاتهم.

وعلى الضد من الفساد هناك النزاهة التي هي أساس العلاقات الضرورية بين الناس ونظراً لأهميتها الحيوية للعمل المنظم في أي مجتمع فإن لها أهمية كبيرة فيما يتعلق بإدارة شؤون المجتمع على جميع المستويات وتعتمد إدارة شؤون المجتمع أولاً وقبل كل شيء على واضعي السياسات وعلى الذين يحتلون مواقع السلطة ومدى تمسكهم بالمبادئ والمثل العليا. وتتأكد أهمية النزاهة من خلال تفشي الاحتيال والفساد في مختلف القطاعات بين الأشخاص الذين يشغلون مراكز رفيعة في الحياة العامة والقطاع الخاص على حد سواء. ويعتبر الفساد الذي يتدرج من الرشوة إلى عمليات استغلال النفوذ إلى اختلاس الأموال شكلاً من أشكال التلوث الاجتماعي الذي يضعف الإدارة النزيهة لشؤون المجتمع بسببها.

وبالتأكيد سيكون الضحايا الرئيسيين للفساد هم المواطنون ولن يكفل سيادة النزاهة سوى تمسكهم بالأخلاق الرفيعة سواء على المستوى العام أو على صعيد النشاط التجاري ومن هنا يشكل الاهتمام بقواعد النزاهة والالتزام بدعما أحد سمات المجتمع الراقى.

فخ القروض الخارجية

لدى بحث مكونات برنامج تثبيت الأوضاع النموذجي نجد أن الشركات الأجنبية التي يضعها الصندوق الدولي تسعى للاستيلاء على المشروعات المحلية المنافسة.

مع أن أغلبية مواطني بلد ما قد يعانون من آثار ذلك البرنامج مقابل أن الصندوق يهيمن على معظم البلدان، وأكثر الحلفاء أهمية هم الحلفاء المصدرون الذين تخضع معدلات زيادة أرباحهم إلى انخفاض قيمة العملة. ومادامت عملية التصدير تتم عبر شركات يملكها أجانب، لذا نجد أن المجال لازال مفتوحاً لصالح الإصلاحات التي يريها الصندوق كما هو الحال مع (بارونات السكر في الفلبين).

أما المسؤولون الحكوميون فيمتلكون في مثل هذه الحالة مصالح متضاربة فلذلك هم يتعرضون للانقسامات فيما بينهم حول قبول أو رفض ما يعد تدخلاً في قوى السوق ولهذا لا سبيل إلى تجاهل عبء الديون المتزايدة لتلك البلدان مما يؤثر في سياستها الاقتصادية ويجرها إلى قيود التبعية.

العلاقة الأزلية مع الموارد الطبيعية إلى أين تتجه؟

على مر التاريخ كان باستطاعة الإنسان أن يمد يديه فينهل مما حوله كما يشاء، فالهواء بلا حدود والأرض على مد البصر والماء يسقط وينساب أو يتفجر ملئياً بالحاجات وإذا أصابه النقص كان الترحال دواءً معروفاً، لكن الإنسان قلب كل المعادلات باتجاه عكسي. فالناس والمدن والمدافن في تزايد مستمر. والأرض والماء والهواء ومعظم الموارد الطبيعية في تناقص مستمر والحلول الحاسمة حتى الآن لقلب المعادلة وإعادة توازنها وضمان قضية الإنسان والموارد الطبيعية أو الإنسان والبيئة ليست جديدة تماماً لكن الأكيد إن رصد ما يجري

بهذا القدر من الاهتمام، وهذا القدر من الرغبة في إثارة الوعي بالقضية ومحاولة تجسيد كل شيء بالأرقام ابتداء من الزيادة السكانية إلى تناقص الهواء لصالح التنفس كل ذلك جديد وقابل للتطوير حتى يمكن إعادة تشكيل العالم لأن بديل ذلك هو الفناء التدريجي أو الانتحار الجماعي وكأن الإنسان وقد هزم الطبيعة كثيراً وعلى مر التاريخ قد عادت الطبيعة لتهزمه بعد أن تسلحت بخطاياها وما فعلت يداها نتيجة فساد المجتمعات الغربية وإفسادها للمجتمعات الأخرى. وفي الطرف الأول للمعادلة تأتي قضية الزيادة السكانية فهناك ١٥٠ طفل يولد كل دقيقة، ٢٢٠ ألف في كل يوم و ٨٠ مليون كل سنة.

ووفقاً لبيانات صندوق الأمم المتحدة فإن سكان العالم عند نهاية القرن سوف يعيشون في المدن والتدفق الصناعي يسير بنفس المنوال إن لم يكن أسرع.

ولكن الصورة تختلف في الشمال عنها في الجنوب حيث توصلت دول شمالية كثيرة إلى مجال التثبيت في السكان فلا زيادة أو نقصان واكتفت دول أخرى بمعدلات منخفضة للنمو والنتيجة أن الدول الصناعية لا تضم أكثر من ربع سكان العالم لكن وعلى الجانب الآخر فإن استنزافها للموارد وتلويثها البيئة يفوق في معظم الأحوال ما يجري في الجنوب. إن الإفساد الذي يمارسه الغرب يمثل استنزافاً كبيراً لموارد العديد من دول العالم الثالث التي لازالت تعتمد على أشكال بدائية من الطاقة كالحطب وقشور الأشجار والأخشاب، وهذا لاشك يهدد الغابات ويساعد على ظاهرة التصحر. فالبيئة في الجنوب تتغير بسرعة والأمطار تقل في العديد من المناطق والسحب من المياه الجوفية يزيد معدله على تجدد هذه المياه حتى أصبحت كالنفط مورد ناضب والأرض تتناقص والغابات الاستوائية تنقلص بمعدل (١١) مليار هكتار سنوياً.

وكذلك بالنسبة إلى تدهور التربة حيث تشير الإحصائيات إلى أن ٢٠ مليون هكتار من الأرض جنوب الصحراء في أميركا تفسد كل عام بعد أن أصبح التصحر ظاهرة تنمو وتهدد ثلث مساحة العالم كله.

آخر التوقعات

قبل أن نقول شيئاً لا بد من التساؤل هل من سبيل ينجو به الإنسان وينأى بنفسه عن الفساد والإفساد الذي تمارسه المجتمعات الغربية وإدارات تلك المجتمعات؟ وهل من معاهدة لعدم الاعتداء يمكن إبرامها بين تلك المجتمعات ومجتمعاتنا؟ وهل من معاهدة بين الإنسان والطبيعة، بل هل من وسيلة للتعيش؟ والجواب على ذلك ما يحصل في الشمال حيث تخرج المظاهرات وتتحرك الحكومات حفاظاً على الهواء الخارجي الذي بدأ يترك بصماته على سطح الأرض. أما في الجنوب فيختلف الأمر تماماً حيث تقول اللجنة العليا للبيئة أن حماية البيئة في الدول النامية ووفق المعايير الأميركية لعام ١٩٨٠ تكلف ٥،٥ مليارات من الدولارات سنوياً وهذه المعايير لا تشمل ظروف الجفاف والتصحر فقط وإنما هي برامج محدودة لبيئة صناعية لوثتها المداخن إلى حد كبير.

ولهذا فإن على مجتمعات الدول النامية أن تتيقظ لما يحاك لها وإزاء المحاولات العديدة التي يبذلها الغرب لغرض إفساد المجتمعات والطبيعة والبيئة وكل ما هو طبيعي وفطري تتمتع به هذه المجتمعات فالقضية ممكن أن تكون بمستوى حياة أو موت.... وهل يا ترى ستستمر أنماط الحياة والتقدم في الجنوب بنفس الوتيرة التي سارت عليها في الشمال؟ وهل يستمر التقدم الصناعي وأنماط الاستهلاك بشكل عام واستهلاك الطاقة بشكل خاص على نفس الوتيرة؟ إن الإنسان لابد له أن يعيد النظر في نفسه وفي كثير من الأوليات والبداهيات وليس

كل من سار على الدرب وصل فدرب الشمال محفوف بالمخاطر.
وحتى لا يفاجئنا الغير نحتاج إلى دراسات استراتيجية نتسلح بها أمام مجتمعات الدول الغربية والمجتمع الأميركي بشكل خاص من خلال بناء الموارد التنظيمية والمالية مقدماً لاستثمار الفرص عند ظهورها والعمل باستراتيجيات التنويع من خلال البحث والتطوير، لتنفيذ المنطق التزايدى للإنتاج خصوصاً وأن الغرب يسعى لأن يسيطر على وسائل القوة بشكل محكم، وبهذا تتطلب الحاجة لاستثمار منابع القوة الطبيعية والاقتصادية المتوفرة لدينا، لأن الغرب اليوم وأكثر من أي وقت مضى يسعى بإصرار لتعميم نموذجة في مجتمعاتنا من خلال استيعاب جميع ما نمتلك من استثمارات.

المصادر

- ١ - الإدارة، الإمام الشيرازي، ج ٢.
- ٢ - الاقتصاد المخطط. هنري شامبر. ترجمة الدكتور سموحي فوق العادة.
- ٣ - بحوث في علم الاجتماع الإسلامي. العدالة الاجتماعية. د. زهير الأعرجي. مؤسسة محراب الفكر الثقافية.
- ٤ - فن الإدارة قراءة مختارة جوزيف آل باور. ترجمة الدكتور أسعد أبو لبدة، مراجعة الدكتور محمد ياغي، دار البشير ١٩٧٧.
- ٥ - فخ القروض الخارجية، صندوق النقد الدولي والعالم الثالث، ترجمة بيار عقل، دار الطليعة، الطبعة الأولى ١٩٧٧.

مقالات

النظام الاجتماعي الفاضل

نقد وتقييم على ضوء المسألة الاجتماعية في الإسلام

محمد محسن العيد

تمهيد

منذ أن عرف الإنسان التجمعات السكانية برزت ضرورة الحاجة إلى النظام الاجتماعي بشكل أو بآخر، فكان نظام العائلة ثم نظام القبيلة، ثم جاء نظام الإقطاع والطبقات، ثم نظم النظريات العامة للإنسان والكون، فكان النظام الاجتماعي تابعاً لها.

وفي الجانب الثابت من حياة الإنسان فإن الله سبحانه وتعالى ومن لطفه وإحسانه وواسع رحمته لم يترك الإنسان، دون أن يدعوّه في كل حين وعلى كل بقعة إلى سنن إحسانه وبيان دينه وإلى التمسك بالعواصم من الضلال، وكان أول آدمي خلقه الله تعالى نبياً، ثم جاءت بعده رسل الله تعالى إلى البشر تترى في مهمة لبناء المجتمعات الفاضلة ودعم الإنسان في إتمام رسالة خلقه.

وهذا واضح في كون المسألة الاجتماعية منذ البدء إلى وقتنا هذا لا تخلو من قيم السماء الحسنة التي جاء بها الرسل (عليهم السلام)، لكنها تخط معاني الحسن الرباني بالمنفعة الشخصية لذوي المذاهب والنظريات، وحتى النظم الاجتماعية السائدة اليوم مع أنها علمانية في الغالب إلا أنها لا تخلو من قيم حسنة أصلها الدين السماوي.

فما هي المسألة الاجتماعية؟

تتمحور المسألة الاجتماعية حول ماهية النظام الاجتماعي الأفضل للآدميين، ويتحدد النظام الاجتماعي الأفضل بأنه ذلك النظام الذي يكفل للإنسان حريته وكرامته وقيمه العليا، ويمنعه من أن يكون مستغلاً أو مستغلاً، ويحفظه من الإذلال من طفولته إلى شيخوخته، فلا يسمح باحتقاره بسبب لونه أو عرقه أو جنسه أو معتقده، ثم هو النظام الذي يُعين الآدمي على تحقيق رسالته ومهام خلقه.

لذا فالنظرية الاجتماعية إنما هي التي - في الغالب - تتحدث عن فاضلية النظام الاجتماعي من زاوية نظرية عامة للوجود، أو من خلال عقيدة أو دين شامل يسود في الناس.

أما النظرية الاجتماعية في الإسلام فالحديث عنها يحتاج إلى معرفة سريعة بالنظم الاجتماعية التي سادت أو تسود اليوم كي تصح معه المفاضلة المعيارية بين النظم الاجتماعية، حيث إننا بصدد نقد وتقييم النظم وفق معايير كونية بديهية وثابتة.

لمحة تاريخية

تطلّع الإنسان في بدايات تجمعاته السكانية على الأرض إلى الطبيعة، فكانت نظمه الاجتماعية في الأسرة والقبيلة متأرجحة لما كان لظواهر الطبيعة من قسوة وقوة ومفاجئة وتأرجح، فكان خائفاً متخفياً مترقباً شاكاً وعنيفاً. والمجتمع البدائي خاضع لهذه الصفات.. ثم بعد أن ألف الحياة أكثر من خلال الفنة للطبيعة وظواهرها بالتكرار مع الدهر تأقلم مع البيئة مهما، كانت فصنع البيوت من الحجر أو حفرها في الجبال وصنع العجلة ودقق في صناعة السلاح الذي منحه تفوقاً ثم ثقة بالنفس... ومقابل كل هذا التطور تطور النظام الذي ينظم مجتمعاته وتجمعاته، حتى ازدادت خبرته الاجتماعية وبنى الدول والممالك وازدهرت حضارته، كذلك ازدهر نظامه الاجتماعي فكتب القوانين وأجرى السنن، وكان ذلك واضحاً في التاريخ القديم من خلال مسئلة حمورابي في الألف الثاني قبل الميلاد والتي تبين في كثير من نصوصها أن فيها ديناً لله تعالى، كما جاء في القصص مثلاً: إن العين بالعين والسن بالسن والأذن بالأذن... الخ، وهذا من السنن الثابتة في دين الله تعالى.

ثم جاءت النظريات الاجتماعية الأخرى، وهي أكثر تطوراً في فكر الإغريق، حيث كتب أفلاطون صياغة نظامه الاجتماعي في جمهوريته الفاضلة كما هو معروف، وكانت ميزة التطور فيها واضحة من خلال التعابير الدقيقة في الحسن الذي يكون عليه نظام الطبقات الاجتماعية في الجمهورية الفاضلة.

بعدها ظهرت المسيحية كديانة سماوية بقيمتها ومعاييرها الربانية، لكنها لم تسلم من التحريف، فقد دعم الكهنة في الكنيسة النظام الإقطاعي فساد بأبشع صوره، مما أساء لسمعة المسيحية كدين حين صاروا سيوفاً للظلم بيد الإقطاع في المجتمعات الأوروبية، وهو ما دعا بعض القسيس إلى المناداة بإصلاح الكنيسة ثانرين عليهم، وانقسمت الكنيسة مما أدى بالتالي إلى تحييدها وتهميش دورها نهائياً في المجتمع، والاقتصار على كونها تدعو إلى القيم الأخلاقية والإنسانية دون فعالية في حياة الناس في النظم الوضعية.

وقد ظهرت فيما بعد نظريات العامل الواحد، والتي تجعل من وحدة العامل أساساً لحل المسألة الاجتماعية! فثمة من يقول مثلاً، بأن المال هو العامل الأهم في حل مشكلات المجتمع من البطالة والجوع والجهل والمرض، حيث رأس المال لازم لبناء الصناعة والمصانع وازدهار الحقول الزراعية، ولازم لبناء المدارس والجامعات ومراكز البحوث التي تحيي المجتمع، والتي تبني المستشفيات وتصنع العلاج... ولولا رأس المال فلا حل لمشاكل المجتمع ولا زوال لآفاقه!

وعلى أساس هذا العامل قامت الأنظمة الاقتصادية التي أثرت في شكل الحل للمسألة الاجتماعية في نظامين رئيسيين هما: النظام الشيوعي الذي جعل رأس المال بيد الدولة، وضرب بيد من حديد على يد الفرد في الملكية، فكان النظام الاجتماعي يرفع الإنسان كما يرفع القطيع، فلا فروق فردية ولا قيم إنسانية إلا ما تقرره الدولة، وقد انهار هذا النظام على تعجل سنة ١٩٨٩ تماماً وفي كل أنظمتها في الدول التابعة له، والأخرى تنتظر.

والنظام الرأسمالي المتمثل في أنظمة الاقتصاد الحر الذي يرفع الفرد المتمول، بل أن اللوردات والشيوخ من

الرأسماليين هم الذين يحكمون الدول الكبرى اليوم على حساب المجتمع في العالم الغربي. وهناك من يقول بحسم عامل آخر للمسألة الاجتماعية في قيام المجتمع الفاضل، وهو عامل القوة، فهو يرى بأن القوة هي التي تبني أو هي التي تهدم وهي التي توجه الأحداث وهي التي تقوم وهي التي تخرب، ولذا فإن الذي يمتلك القوة يستطيع أن يوجهها في حل مشاكل المجتمع وفي أي مجال من مجالات حياة الناس. وهناك ثالث يقول: بأن الدم النقي والعرق أو اللون هو العامل الحاسم في حل كل المشاكل التي يعاني منها المجتمع، لأن في هذا العرق تكمن المواهب الفذة والقدرات العبقريّة لحل مشاكل الناس وإسعادهم، وأن غيرهم ما هم إلا عبيد وعمال. ومن أمثلة هذه النظم كان نظام جنوب أفريقيا، ومثله النظام الصهيوني القائم في فلسطين، حيث يرى الصهاينة ومن خلال ديانتهم المحرفة وفي تلمودهم المقدس أن اليهود هم أبناء الله وشعبه المختار، وأن غيرهم ما هم إلا عبيد.

ماذا نسي أصحاب نظريات العامل الواحد؟

نسي أصحاب هذه النظريات عقولهم وهم يتحدثون عن حسم عاملهم الواحد، سواء في رأس المال أو القوة أو العرق... الخ، حيث العقل هو الذي استحسنوا به هذه النظريات، فالعقل ميزة الحسن في خلقهم كأدميين، بل حتى أن العقل لا يصح في توجيهها إلى الأحسن والأفضل إلا من خلال معيار ضابط لنشاطات نفس استوعبتها عقيدة كاملة شاملة، نفذت في عقله وتميز بها دينه لله تعالى دون ضميمة. ولنرى ما هي تلك المعايير التي تمنحها العقيدة الإسلامية لعقل المعتقد بها لبناء المجتمع الفاضل إجابة للمسألة الاجتماعية؟

المعايير الضابطة في صحة النظام الاجتماعي وأفضليته الحديث عن النظرية الاجتماعية في الإسلام وأنها النظرية الأكمل والأشمل فالأفضل على الإطلاق، إنما يبدأ بتحديد معايير المفاضلة في النظم الاجتماعية التي سادت ثم بادت والتي تسود اليوم، وبالنظر لحصاد كل نظرية وما تجنيه من سيادة نظامها وقيمها في المجتمع. ولكي لا يكون معيارنا الضابط في صحة النظام الاجتماعي مدار جدل، لابد من أن يكون ذلك المعيار بديهياً مسلماً به عقلاً وضمن معاني تعريف النظام الاجتماعي الأفضل:

(١)

من بديهيات الكون هو: أن الطاعة لازمة الخلق

فالكون وكل ما فيه إنما يمثل استجابة الكائن لنظام كونه، فالخلق ظاهر لمعنى الطاعة في باطنه، وببساطة شديدة - ولو أن توضيحات البديهيات من اصعب الصعوبات - نقول: إن الطاعة معناها استجابة المخلوق لنظام خلقه، وفي حالة عدم استجابة المخلوق لنظام خلقه فلا خلق أصلاً، وكذا في حالة تخريب نظام الاستجابة في المخلوق يؤدي إلى فناء ذلك المخلوق.

لذا وعلى أساس هذه البديهية الكونية التي لا يختلف عليها اثنان يقوم النظام الاجتماعي الإسلامي، وطبقاً لقوله تعالى: (يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (١).

فالناس في الإسلام سواسية كأسنان المشط، والمعياري الأوحد للمفاضلة بينهم هو غاية الطاعة لله تعالى خالق الخلق التقوى حيث التقوى غاية الطاعة وفي هذا السبيل يؤكد المصطفى (صلى الله عليه وآله) في قوله: (لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى).

فإذا كانت الطاعة في غايتها (التقوى) معياراً للمفاضلة بين الناس دون أي معيار اجتماعي آخر تحقق الجواب الأفضل للمسألة الاجتماعية، حيث يصير دأب الآدمي في هكذا نظام بلوغ الكرامة بالتقوى والطاعة لله تعالى في كل ما يحقق رضاه سبحانه في تحرر الآدمي من كل عبودية في تمام عبوديته لله تعالى، وحيث الآدمي بتقواه يكون ممتنعاً عن استغلال أخيه الإنسان، وحيث التقوى تزدهر في الدنيا، فلا يرى في نفسه فضلاً عن أحد، فالكل لآدم وآدم من تراب.

وفي سُنَّة هذا المعيار - الطاعة لله في غايتها - ينمو في المجتمع مجموعة من التقاة يكونون أمثلة حسنة ونماذج فاضلة وجذابة للناس بواسطتهم تنشر قيم الفضيلة، هذا إذا لم تكن التقوى حالة غالبية، كما كان في الصدر الأول للإسلام على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيكون المجتمع كله نموذجاً لمعاني المجتمع الأفضل في التاريخ.

إن شيوع التقوى وإن لم تكن حالة عامة في المجتمع يمثل ثقلًا اجتماعياً ضابطاً في تحسين القيم الفاضلة وشيوعها، ويسهم في تقليل قيم القبح والجريمة.

وقد يلاحظ المرء وعلى مر التاريخ أن القانون الذي يفرض العقاب على الجرائم كان موجوداً بشكل أو بآخر منذ البدايات الأولى للنظم الاجتماعية في العالم القديم، وحتى الحديث، لكن العقاب والقانون لم يقضيا على الجريمة أو يوقفها، لكن الجريمة تختفي أو على الأقل تنحسر في النظام الاجتماعي الفاضل.

وهذه حقيقة تجسدت في المجتمع الإسلامي الذي قاده الرسول (صلى الله عليه وآله)، حيث كانت التقوى هي المعيار الذي يتفاضل به الناس ولمدة (٢٣) سنة في المدينة المنورة، حيث كانت الجريمة قد انحسرت إلى حد كبير كأن لم يكن يذكر.

لأن في النظام الاجتماعي الفاضل يصير الآدمي يأنف من الجريمة أكثر مما يخاف من العقاب، بل كان يأتي بنفسه يطلب إقامة الحد عليه لشعوره بالذنب والخطيئة والنقمة على نفسه إذا أذنته بالمعصية.

إن النظام الاجتماعي الفاضل يستند إلى قيم معيارية فاضلة، تجعل الآدمي يستقبح الفعل السيئ، فيأنف أن يأتي منه ذلك، ويتحاشى السبل التي قد تؤدي إليه، وكل هذه القيم المعيارية الفاضلة أساسها الطاعة لله تعالى في تمامها، وهي التقوى.

الرحمة بمعانيها الواسعة

ثمة معيار اجتماعي بديهي آخر في المفاضلة بين النظم الاجتماعية السائدة، وهو معيار: (كون الرحمة بمعانيها سبباً في كل حادث كوني حسن) ولذا فهي في النظام الاجتماعي لا بد أن تكون سبباً في كل تشريع اجتماعي، وعلة في كل قيمة اجتماعية، وعلى العكس فإن أي تشريع معول للقسوة والقهر أو أية قيمة مبطنة بالبغضاء والكره، فإنها قبح وظلم ينافي النظام الاجتماعي الفاضل المعروف آنفاً.

فمنطق القهر والقسوة في المجتمع مهما كان مبرراً دون الرحمة فإنه لا يبذر في الأمة إلا البغضاء، ولا يحصد إلا العنف والتناحر الاجتماعي، لأن الرحمة إنما هي موضع العلة الأم التي تمنع على الآدمي أن يتعلق بغير الحسن، فالرحمة كتاب الله تعالى على نفسه.. قال تعالى (فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة) (١).

وإذا تمكنت الرحمة من قبل الآدمي وامتألت بها نفسه فإنها تمنع عليه أن يحتقر البشر الآخرين مهما كان لونهم أو عرقهم أو جنسهم أو دينهم، وهذا أمير المؤمنين (عليه السلام) يوصي واليه على مصر مالك الأشرار (رحمه الله) بهذا:

(وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللفظ بهم، ولا تكون عليهم سبباً ضارياً تغتتم أكلهم، فإنهم صنفان، إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق) (٢).

هكذا ينهض النظام الاجتماعي في الإسلام باعتبار أن كل إنسان بالنسبة للإنسان الآخر إما أخ له في الدين، فيوافيه بحنان الأخ لأخيه ويستجيب لواجباته اتجاهه أو أنه ليس من دينه، فهو كذلك شبيه له في الخلق، فهم خلق واحد وحاجاتهم واحدة والرحمة صفحة حسن رباني جامعة للتسامح في كل ما يميز الناس أو يفرقهم.. فالرحمة ومعانيها معيار العلاقة بين الناس في المجتمع الإسلامي الفاضل، فالرحمة كتاب الله على نفسه وأمر بها وأرسل بها الرسل، وأنزل بها الكتب، وجعلها علة في كل ناموس كوني.. قال تعالى في ذلك لنبيه الأكرم (صلى الله عليه وآله): (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (٣) (فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَنُنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْقَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ...) (٤).

وعن كون الكتاب المنزل أنه رحمة قال تعالى: (وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (٥).

في مقابل هذا نجد في الأنظمة الاجتماعية الأخرى القائمة على القوة أو المال أو المستندة إلى العرقية أو العنصرية أو الإقطاعية، إنما هي نظم قاهرة منحرفة عن الفطرة وعن نوااميس الكون، ولذا فهي بؤرة للعنف

١ - سورة الأنعام: ٥٤.

٢ - نهج البلاغة: الجزء الثالث، ص ٨٤.

٣ - سورة الأنبياء: ١٠٧.

٤ - سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

٥ - سورة آل عمران: الآية ٥٢.

والجريمة والإباحية والدنس والعهر، لأن الذي يزرع الرحمة يحصد معانيها من المحبة والود والألفة، والذي يزرع القسوة والقهر يحصد معاني العنف والقبح كلها، وهذه فضائياتهم وأجهزة إعلامهم تعرض علينا كل يوم حصاد نظامهم الاجتماعي.

(٣)

معيار ضابط ثالث في صحة النظام الاجتماعي

ويأتي هذا المعيار من بديهية كونية تقول: (إن الحق هو أساس الكون وإن العدل قوامه) ولذا فلا كون يمكن أن يوجد دون الحق، ولا كون يمكن أن يستمر دون العدل.

والحق هو صيغ الصدق الثابت في الواقع، والعدل هو تجسيد الحق في الواقع، فالحق واقع معرفة، والعدل فعل واقع. ومحاكاة لهذه البديهية الكونية فإن أي نظام اجتماعي لا ينطوي على العدل ولا يهدف إلى الحق فهو نظام، باطل والباطل من اسمه لا يدوم.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) بهذا الخصوص:

(فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول في غير موطن: لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف حقه من القوي غير متنتع) (١). فإنما هلك الأمم الماضية لأنهم إذا خالف الشريف الحق أمهلوه، وإذا خالف فيهم الضعيف عاجلوه.

ويمضي أمير المؤمنين (عليه السلام) أكثر في إرساء قواعد العدل والرحمة في المجتمع الإسلامي من خلال وصيته لمالك الأشتر (رحمه الله) فيقول:

(الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزمى فإن في هذه الطبقة قانعا ومعترا واحفظ لله ما استخفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسما من بيت مالك وقسما من غلات صوافي الإسلام في كل بلد فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى وكل قد استرعيت حقه ولا يشغلنك عنهم بطر فإنك لا تُعذر بتضييعك التافة لإحكام الكثير المهم فلا تشخص همك عنهم ولا تصعر خذك لهم وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع فليرفع إليك أمورهم ثم اعمل فيهم بالإعذار إلى الله يوم تلقاه فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم وكل فاعذر إلى الله في تأدية حقه إليه وتعهده أهل اليتيم وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفس) (٢).

ثم يصف ذلك الطلب في إقامة النظام الاجتماعي الإسلامي الدقيق على الحاكم بأنه ثقيل، ولكنه (عليه السلام) يقول إن الحق كله ثقيل فيكمل (عليه السلام) القول:

(وذلك على الولاة ثقيل والحق كله ثقيل وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم ووثقوا

١ - نهج البلاغة: الجزء الثالث، ص ١٠٢.

٢ - نهج البلاغة، الجزء الثالث، ص ١٠١.

بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللَّهِ لَهُمْ (١).

فالحق والعدل معيار أساس الحسن وقوامه ودوامه في النظام الاجتماعي الإسلامي.

(٤)

معيار ضابط رابع في توطيد النظام الاجتماعي الفاضل

ويأتي من بديهية كونية هي: (حتمية الموت على كل كائن).

والموت في عقيدة الدين الإسلامي - التي تنطوي عليه النفوس - هو مرحلة كونية مثلها مثل الصيرورة في الأجنة، ومثل الولادة، حيث هو نقلة في سلسلة حسن الكون المتواصلة مع مراحل أخرى أحسن.. إذ الصيرورة في الأجنة أفضل مما قبلها في الذر، والولادة إلى الدنيا أفضل من الأجنة، والموت أفضل من الحياة حيث يخسر فيها المسيء ويستمر فيها الحسن متصاعداً إلى حيث رضوان الله تعالى.

وإذا كان هذا الحتم - الموت - بهذه المعاني في الدين الإسلامي فإنه لابد من رقيب ذاتي في المجتمع كله، يمنعه من القبح بمقدار تمكن ذلك الرقيب من نفوس الناس في المجتمع الإسلامي.

فكون الموت باباً إلى الحياة الأبدية بعقابها للمسيء وثوابها للمحسن، يجعل الناس يسعون إلى الطاعة ويجتهدون في التقوى كمعيار لحسن وأفضلية العمل وكل نشاط يصدر عنهم مدفوعين بالرحمة لطلب رحمة الله في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، وهم يتحرّون الحق والعدل خوفاً من عدل الله تعالى في اليوم الموعود الذي لابد منه بعد الموت الذي لابد منه أيضاً.

إن الرقيب الذاتي الذي توجده في المجتمع وفي كل فرد من أفراده، حتمية الموت وما يعنيه بالعقيدة الإسلامية، وبمقدار وعي الناس لمعناه يصير معياراً متميزاً في توجيه المجتمع للحال الأفضل والأحسن وفي منع القبح والسوء.

إن في تعاليم الدين الإسلامي وحقائق التدين في مذهب أهل البيت (عليهم السلام) على الخصوص، ما يبرز هذا الرقيب الذاتي في النفوس، فيكون من أهم المعايير الضابطة في صياغة نظام اجتماعي فاضل، يأنف فيه الناس من كل قبح، ويسعون من خلاله إلى حيازة كل ما هو حسن باتجاه السفر الأبدي الذي يعدون له في حياتهم الآتية، ويجدون في المجتمع وسيلة لتحقيق هذه العدة.. وهذا مما لا يحدد بتفاصيل، حيث لكل فعل أو قول تشريع ابتداءً من قبل أن يولد الآدمي إلى ما بعد أن يموت، فلا يقلت شيء دون رقابة هذا المعيار، فالله سبحانه وتعالى مطلع عليه في كل لحظة.

وإن المسلم لمجرد إيمان بأن الدين نظام حياة تجده يساهم في بناء النظام الاجتماعي الرصين الحصين الفاضل أينما حل وحيثما كان، طبقاً لتحكم هذا المعيار في نفسه بعيداً عن القانون والخوف من العقاب القانوني، وهذا غير موجود في أي نظام اجتماعي وضعي آخر، فالمسلم المؤمن الصادق في دينه إنما يتوجه اجتماعياً من خلال معايير كونية ضابطة تنتج به نحو الحسن الكوني وتمنع عليه القبح، لأن الدين وصية الله تعالى إلى خلقه ورحمة الله بعباده.

مقياس ضابط خامس في أفضلية النظام الاجتماعي في الإسلام على بقية النظم السائدة أو المعروفة

وهذا المقياس الضابط يستند أصلاً إلى بديهية كونية تقول: (إن للحسن معنى في كل خلق ولا معنى للخلق بدونها)، وبعبارة أخرى هي: إن الإمامة هي معنى الحسن في كل خلق، أي أن أي خلق لا معنى أحسن له دون خلق الإمام.

فالوجود المادي يتحدد بالنواة، وبدون النواة لا معنى للخلق المادي على الإطلاق.. وكذا الوجود الحي والأحياء يتحدد بالـ(DNA) ولولا الـ(DNA) لا معنى للحياة على الإطلاق، وكذا وجود الإنسان يتحدد بالعقل، ولولا العقل فلا معنى لوجود الإنسان على الإطلاق.

فالمعنى الحسن للوجود المادي هو النواة، والمعنى الحسن للحياة هو الـ(DNA) والمعنى الحسن للإنسان هو العقل.

وحديثنا هو عن الإنسان ونظام المجتمع الإنساني، فإمام الإنسان عقله، والإنسان بلا عقل لا معنى حسناً فيه، وكذا لا معنى حسناً لخلق الناس بدون عقول أو مجانين مثلاً.

وبما أن حديثنا عن النظام الاجتماعي الفاضل للإنسان فإن الناس إنما يتفاضلون بكمال معاني الحسن في وجودهم، فأعقل الناس أحسنهم، وأكمل الناس عقلاً أفضلهم، وأحسن الناس وأفضلهم هو إمامهم.

والإمامة الحققة هي حيازة الكمال في معاني الحسن في خلق الإنسان، وبهذا يكمن مقياس التفاضل في بناء النظام الاجتماعي من ناحية البديهية الكونية، وهذا المعنى منسجم مع معاني خيار الله تعالى للإنسان كونه خليفة الله في الأرض.

أما كيف نعيّر كمال مميزات الإنسانية في الإمام؟ فإننا نلجأ لذات المعايير الكونية السابقة في المفاضلة بين الناس التي وضعها الدين الإسلامي وتطابقت مع البديهيات الكونية وهي:

إن الإمام بمقياس التقى والطاعة لله تعالى هو أتقى الناس وأعبداهم له، وبمقياس الرحمة فهو الرحمة ذاتها، حيث يقول الله تعالى للرسول المصطفى (صلى الله عليه وآله) (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) فهو إمام ورحمة.

وفي مقياس العدل والحق فإن الإمام هو الذي يختاره المولى جل وعلا لمهام الرسالة والدعوة إليه، وقد أذهب عنه الرجس وطهره تطهيراً، وقال تعالى في صريح كتابه:

(وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) (١).

فعهد الله تعالى بالإسلام من الناس في النظام الاجتماعي الإسلامي لا ينال غير العدول ويستبعد الظلمة، وهذا

تصريح بعصمة الإمام أصالة ودواماً.

ولضرورة عصمة الإمام في النظام الاجتماعي في الإسلام معانٍ كبيرة جداً في أفضلية ذلك النظام وفي حصانته ورسالته، أهملته أكثر الأطروحات التي تناولت هذا الموضوع، ومن هذه المعاني:

(أ) الإمامة سنة كونية في كل خلق يحسن بوجودها ويقبح مع عدمها، فهي موجودة واضحة جداً في كل صنف من أصناف الأحياء، فإمام من كل صنف لصنفه، ومن ذات الخلق لخلقهم إمام أيضاً، إلا أن الإمامة في المجتمع الإنساني لازمة الحسّن، ولولاها فلا حسن على الإطلاق، لأن فقدان الإمام فقدان للسنة الكونية، ووجوده وجود ونفاذ للسنة الكونية. وهذا ما يصرح به القرآن العظيم في كثير من آياته: (وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) (١)، وقال تعالى (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) (٢).

وهذا أمر واقع فعلاً، إلا أن الذي يؤمن بهذا الواقع هو المجتمع الذي يتبع مذهب آل البيت (عليهم السلام)، حيث لا ضياع مع الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) ولا حيرة في معاني التشريع والعقل اللذين يوجبان عدم خلو الأرض من حجة، وبالتالي فلا ضلال في المجتمع الإسلامي الفاضل.

(ب) من معاني كون الإمامة سنة كونية هو تفسير معاني وصايا الرسول في عدم افتراق الثقلين الشريكين في عصمة الناس من الضلالة في المجتمع الإسلامي الفاضل، وهما الكتاب والعترة، فلو لم يكن الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) موجوداً فكيف يتم عدم الافتراق؟!

(ج) من معاني كون الإمامة سنة كونية هو أن بوجود الإمام تتحقق الهداية التكوينية للمجتمع سنداً في أفضليته ودواماً لحسنه.

ولكن كيف تتحقق الهداية في حال غيابه كما هو الحال في واقع النظام الاجتماعي السائد؟

إن من بركات وجود الإمام في غيابه قيام فضلاء المجتمع من الفقهاء بالاجتهاد، وهو ضرورة لإثراء العقيدة، ما كانت لتكون مع وجوده الحاضر (عجل الله فرجه الشريف).

وإن من بركات وجود الإمام وهو غائب تعدد شخوص القيمومة على المجتمع من خلال تعدد المرجعية المؤهلة بالصفات التي أوصى بها الإمام (عجل الله تعالى فرجه)، وهي ضرورة في تكامل النظام الاجتماعي الفاضل من خلال الطروحات المرجعية للقيادة في زمن الغيبة، كالذي يقول بولاية الفقيه على الإطلاق أو على التقيد، والذي يقول بشورى الفقهاء، وهو إثراء تكاملي باتجاه المجتمع الأفضل من وجوه متعددة، ما كانت لتكون في حضور الإمام (عجل الله تعالى فرجه).

(د) الإمامة والقيادة والولاية بما هي سنة، فهي تكليف لا تشريف في النظام الاجتماعي الإسلامي، خلافاً لما هو موجود من نظم اجتماعية تعتبر فيه الولاية سلطة تمنح المتسلط امتيازات ليس لغيره.

يقول الإمام علي (عليه السلام) في وصيته لمالك الأشتر واليه على مصر:

(ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عَمَّاكَ فَاسْتَعْمِلْهُمْ اخْتِبَاراً وَلَا تُؤَلِّهِمْ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً فَإِنَّهُمَا جَمَاعٌ مِنْ شُعْبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ

١ - سورة فاطر، الآية ٢٤.

٢ - سورة الرعد، الآية ٧.

وَتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ النَّجْرِيَّةِ وَالْحَيَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ (١).

هـ) وفي حين تكون العيون على الناس في النظم الاجتماعية الأخرى، فإن في النظام الإسلامي تكون العيون على الولاة والحكام، فالإمام يأمر ببيع العيون على عماله، حيث يوصي أمير المؤمنين (عليه السلام) مالكا (رحمه الله):

(ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ وَابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ تَعَاهُكَ فِي السِّرِّ لَأُمُورَهُمْ حَدُوءٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْأَمَانَةِ وَالرَّقْقِ بِالرَّعِيَّةِ وَتَحَفُّظِ مِنَ الْأَعْوَانِ فَإِنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةٍ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ اكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِدًا فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ الْمَدْلَةِ وَوَسَمْتَهُ بِالْخِيَانَةِ وَقَلَّدْتَهُ عَارَ النَّهْمَةِ) (٢).

بهذا فإن لوجود الإمام معانٍ في الفضل لا يطالها أي مجتمع آخر.

و) يستمر معيار الإمامة ضابطاً في المجتمع مع غياب المعصوم، من خلال نظام المرجعية والتقليد بشروط المعصوم وبرعايته، حيث يوصي (عجل الله تعالى فرجه): (من كان من الفقهاء صانناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه).

وبشروط التقليد والاجتهاد في نظام المرجعية القائم اليوم في المجتمع الإسلامي وعلى مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، تبقى معايير المجتمع الفاضل قائمة وفاعلة.

(٦)

معيار الضابط السادس في قيام المجتمع الفاضل

يتأصل من بديهية كونية نقول: (إن الحسن هدف لذاته في هذا الكون).

لذا فإن العاقل هو ما يصيب الحسن ويتجنب القبح، وإنما يعرف العقل بمقدار ما يصيب من الحسن، وبمقدار إدراكه للحسن وانجذابه إليه.

فالحسنات والسيئات في النظام الإسلامي معيار المفاضلة بين الناس في الحياة الدنيا، وهما ميزان الفوز برضا الله تعالى وجنته، أو البوء بغضبه فالنار، وهو مقياس ينسجم مع السنن الكونية، ويبدو ذلك في وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لواليه مالك الأشر (رحمه الله):

(وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةِ سَوَاءٍ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَرْهِيْدًا لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ وَتَنْدْرِيبًا لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ وَالزَّمْ كُلًّا مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنٍّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ) (٣).

ذلك لأن المسيء ألزم نفسه استحقاق العقاب بإساءته، والمحسن ألزمها استحقاق الكرامة بإحسانه. وعلى ضوء هذا المعيار يقوم المجتمع بالإحسان من الإحسان فيما جاءت به الشريعة الشاملة الكاملة،

١ - نهج البلاغة، الجزء الثالث، ص ٩٥.

٢ - نهج البلاغة، الجزء الثالث، ص ٩٦.

٣ - نهج البلاغة، الجزء الثالث، ص ٨٨.

مدعماً لفعالية المعايير الأخرى في النفوس لقيام المجتمع، الفاضل، باعتبار تلك المعايير هي أيضاً معانٍ للحسن في الكون من الطاعة والتقى والرحمة والمحبة ومن العدل والحق، ومن ذاتية الرقيب النفسي الذي يحن في النفوس حتمية الموت والسعي لما بعده في الحياة الأبدية، والإمام الحق يحسن في رعيته بهذه المعاني الحسنة في كمالها، فيكون نموذجاً وقائداً للمجتمع في غايته.

(٧)

المعيار الضابط السابع في قيام المجتمع الفاضل

يأتي من بديهية كونية تقول: (إن كل شيء في الكون لابد أن يكون مبتلى أو مبتلى به) فالبلاء هو سنة تجلي حسن المخلوقات، فلا حسن في شيء دون اجتيازه البلاء. فأنفس المعادن الذهب، يبتلى بأقوى الحوامض وهو التيزاب، وأعظم الأدميين يبتلى بأعظم البلاء، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم. إن ما يجتاز به الأدمي البلاء هو الصبر، ولذلك أوصى الدين الإسلامي بالصبر وحث عليه وجعله بمنزلة الرأس من الجسد، فمنزلة الصبر من الإيمان كمنزلة الرأس من الجسد، وإن من لا صبر له لا إيمان له، ذلك تحصيناً للمجتمع إزاء عاديات الدهر، وإعداداً له كي يتجلى حسنه بما يبتلى به. وقد أكد القرآن العظيم والرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) على أن البلاء سنة حسنة، وأن الابتلاء هو دليل حب الله تعالى للعبد.

مستخلص البحث

في دراسة مقارنة للنظم الاجتماعية التي سادت ثم بادت أو التي تسود اليوم مع النظام الاجتماعي الذي يقوم على نظام المرجعية والتقليد زمن غيبة الإمام المعصوم (عجل الله تعالى فرجه) واستناداً إلى المعايير التي تنبثق من السنن الكونية التي تحكم الوجود كله، فإننا نجد أن المجتمع الذي يقوم بمذهب أهل البيت (عليهم السلام) في دين الله تعالى هو المجتمع الوحيد على وجه الأرض الذي يخضع لتلك المعايير ويتجه بالمجتمع للأفضل والأحسن دوماً.

المسلمون في العالم

المسلمون في استراليا

إعداد: جعفر محمد علي

تبلغ مساحة استراليا ثمانية ملايين كيلومتراً مربعاً. إنها الدولة القارة التي يمر بها ٣٠ خط طول، عرضها ٤٠٠ كيلو متراً من الشرق إلى الغرب.. فارق التوقيت ساعتان بين مدينتي سيدني في الشرق وبيث في الغرب. دخل الإسلام إلى استراليا عن طريق التجار والعمال من المسلمين القادمين من افغانستان وباكستان والهند والذين نقلتهم الحكومة الإنجليزية إلى استراليا للاستعانة بهم في قيامها بفتح طرق المواصلات الداخلية.. ولا زالت السكة الحديدية في بلدة أوليد الايك تسمى بكلمة (غان) تخليداً لذكرى هؤلاء العمال المسلمين، إلا أن قصة دخول الإسلام إلى استراليا ترجع إلى حوالي عام ١٨٦٠ عندما وصلها أول مسلم هندي من كشمير، جاء ومعه ٢٤ جماً استخدمت في اكتشاف المناطق الصحراوية القاحلة، والمسلمون بذلك ساهموا مساهمة فعالة في اكتشاف أعماق استراليا ومجآهلها وظهورها في العالم الجديد، والإسلام هو من أوائل الأديان السماوية الذي عرفته القارة. وقد أعلن مستشار الاتحاد الإسلامي الأسترالي في عام ١٩٨٨ اكتشاف عدة مساجد أثرية في مدن أدليد، وفرنيا، وأليس، ومري، كما تم العثور على آثار مسجد قديم في منطقة التعدين في بروكلين هل ومدينتي بروم وكولجاري، وأكد أن الاتحاد الإسلامي قرر إعادة كتابة تاريخ الإسلام في استراليا بعد أن تم العثور على وثائق تؤكد أن (الأفغان) هم أول من نشر الإسلام في استراليا.

يتضح من ذلك أن دخول الإسلام إلى استراليا قد بدأ مع الحياة الجديدة في تلك القارة بعد اكتشافها في التاريخ القريب، فقد دخلها المسلمون مع الأفواج الأولى من المهاجرين الأوروبيين الذين جاؤوا ليكتشفوا مجآهلها ويعدوها لإنشاء وطن في مستعمرة جديدة وعاصروا وساهموا في مراحل تطور القارة المجهولة.

عصر الأوائل (تاريخ الهجرة الإسلامية إلى استراليا)

عندما بدأت الهجرة إلى استراليا بالنسبة للمدنيين العاديين وفد إليها طلاب الثروة والباحثون عن المغامرات، وهاجرت إليها أعداد كثيرة من العلماء والمكتشفين والهاربين من الاضطهاد الديني كالكاثوليك، وسكن هؤلاء في المناطق في السواحل الشرقية والجنوبية والغربية لوفرة المياه وصلاحيية أراضيها للزراعة وعندما أتعجت أنظارهم نحو قلب القارة الغني بثرواته لم يستطيعوا اختراق غاباتها وجبالها، وصحرانها، ففكروا بطريقة توصلهم إلى ذلك، فكانت لهم قوافل الجمال خير عون وكان الجمالون الذين قادوا تلك القوافل هم مسلمون من الهند وأفغانستان.

دخل الإسلام إلى استراليا مع هذه القوافل في حلها وترحالها، حملته إلى كل بلد سافرت إليه، من أدليد

جنوباً إلى داروين شمالاً، ومن بيرت غرباً إلى سيدني شرقاً، ومن برمزيين في أعلى القارة إلى ملبورن في أدناها، وقرئ القرآن في أليس سبرنج وصحراء فكتوريا قبل أن تقرأ التراتيل المسيحية.

وقد ترك المسلمون أثراً بارزة تعبر عن جهودهم، فهناك أماكن ما زالت تحمل أسماء إسلامية أطلقها الرواد المسلمون على تل بيجا وقنطرة، ويطلق على خط السكك الحديدية الذي يصل بين اديليد وأليس سبرنج اسم (غان) وهو اختصار لكلمة أفغان تخليداً للقافلة الأفغانية التي اكتشفت الطريق.

ويسجل تاريخ استراليا لهذه القوافل مساهمتهم الحقيقية في اكتشاف مجاهل القارة وفضلهم على كثير من المكتشفين الأوروبيين الذي دانوا لهم بحياتهم، ومن الأعلام المسلمين الذين حفروا أسماءهم على صفحات التاريخ الأسترالي (ببجاة درويش) رئيس الجمالين في حملة كاليفيرت الاستكشافية المشهورة، وكانت تحت قيادة (ويلز) وقد كتب هذا الأخير في مذكراته: (لقد أظهر شيخ ببجاة قوة فائقة على الاحتمال، وأنا أدين له بحياتي، فقد أنقذني ومن بقي معي من رجال الحملة من الموت، وأذكر عندما وصلت حملة الرحلة إلى أسوأ مراحلها بعد أن عمي علينا الطريق وبعد أن أمضت الجمال سبعة وعشرين يوماً من غير ماء أخبرته والألم يعتصر قلبي أن الجمال سوف تضطر إلى الصوم عن الطعام كذلك لننقذ بغائنا الآدميين، فلم تتغير خلجاته بل رأيت الهدوء والسكينة على وجهه، ثم أدهشني بقوله: وأنا معها سوف أصوم!!).

وبعد أن استقرت الحياة بالمسلمين اتخذوا اديليد في جنوب القارة أول موطن إسلامي في القارة، وعندما بدأت فرص العمل تقل أمامهم انتشروا في بقية أنحاء القارة واتخذوا أعمالاً أخرى غير قيادة الجمال، حيث اشتغلوا بالتجارة والزراعة والمناجم، وقد شاركوا في بناء أول خط تلغراف يخترق القارة من منطقة اديليد إلى داروين، كما ساهموا في بناء أول خط سكة حديد يصل بين كالفورلي وميناء أوغستا.

استراليا البيضاء

صدر قانون بمنع دخول الآسيويين والملونين إلى استراليا عام ١٩٠٢، وقد صدر هذا القانون من برلمان استراليا الفدرالي الأول الذي وضع أساس سياسة استراليا البيضاء، وقد صدر بعد مناقشات كثيرة ودعم واسع من قبل مجتمع الأكثرية، ومنعت بشكل فعلي هجرة غير الأوروبيين إلى استراليا، وكان ذلك القانون يمثل ذروة الهياج السياسي الذي قادته مجموعات متنوعة تعارض الهجرة، وكان المنطق الأساسي لهؤلاء هو أن العمال الآسيويين يشكلون تهديداً لمستويات معيشة العمال الأستراليين، وقد منع قانون تحديد الهجرة هجرة المسلمين من آسيا بشكل فعلي، وتميزت العلاقات المتبادلة خلال هذه المرحلة باستبعاد هؤلاء المهاجرين وتمييزهم بشكل سلبي عن الآخرين، وعاد كثير من العمال الأفغان وغيرهم من العمال الآسيويين إلى بلادهم.

وقد وقف تيار الهجرة الإسلامية من الهند وأفغانستان بعد صدور هذا القانون، وأخذ عدد المسلمين يتناقص بعد أن دفع الحنين إلى الوطن الكثيرين إلى العودة خاصة النساء بعد أن انقطعت الصلة بين المسلمين في استراليا وبلادهم، وبدأت فترة الركود والاضمحلال في صفوف الجاليات الإسلامية.

فتح باب الهجرة

بعد الحرب العالمية الثانية فتح باب الهجرة، فجاءت موجات مهاجرة من المسلمين من لبنان وتركيا وقبرص

وفلسطين ومصر وسوريا ويوغسلافيا والصين وجنوب إفريقيا.

ومعظم المسلمين الآن هم من عمال المصانع، وبعضهم من المزارعين، وبعضهم الآخر مدرسون أو أصحاب حرف مهنية حرة، كما يوجد الكثير من الطلاب المسلمين في الجامعات الأسترالية، وهناك بعض المسلمين من يعمل في السلك الدبلوماسي في العاصمة كانبرا.

ويعود فضل التخلص من قانون استراليا البيضاء إلى حكومة العمال التي تولت السلطة بقيادة غوف وايتلام عام ١٩٧٢ فبعد ذلك العام سُمح للمهاجرين من كثير من دول آسيا ودول الشرق الأوسط بالاستيطان في أستراليا، واتسمت العلاقات الداخلية بين المجموعات منذ عام ١٩٧٢ بالتعددية الثقافية والتوفيق بين الأطراف، وأصبحت سياسة الحكومة الرسمية الآن تدرك الاختلافات الثقافية والدينية بين سكان استراليا الذين يختلفون بخواصهم العرقية، وتشجع جميع الأستراليين على صقل اختلافاتهم الثقافية والدينية والحفاظ عليها ضمن إطار مجتمع متسامح ومتعدد الثقافات.

وخلال السنوات المائة الأخيرة تغيرت التركيبة العرقية للمجتمع المسلم بشكل كبير، وتحولت من مجتمع آسيوي أفغاني لتصبح بمعظمها أوربية شرق أوسطية، وفي عام ١٩٨٦ كان ٤٤% من المسلمين من أصل أوروبي و ٢١% من الشرق الأوسط، و ١٧% ينتسبون إلى آسيا.

الحضور الإسلامي المنظم

يمكن القول أن التاريخ الفعلي للحضور الإسلامي المنظم في استراليا يعود إلى عام ١٨٦٠م، ففي أثناء هذه الفترة وحتى الآن حاول المسلمون تنظيم أنفسهم مرتين، كانت الأولى عام ١٨٨٠ وانتهت إلى الفشل، أما المرة الثانية فقد بدأت عام ١٩٤٨م وتحقق لها النجاح بشكل مقبول حيث حاولت تفادي إخفاقات ومشاكل وتناقضات التجمعات الأولى.

كان أول من باشر التنظيم من القادمين الجدد هم من الأتراك القبارصة المستوطنين في مالبورن عام ١٩٤٨ وفي سيدني عام ١٩٥٢، ولكن تنظيمهم كان يركز على المعايير القومية أكثر من المعايير الدينية. ثم توالى التجمعات بعد ذلك في أدليد وبريسبان على أسس جديدة، ثم أسس الألبانيون الجمعيات الإسلامية في مارينا في كوينزلاند وفي شيبارتون ثم بنوا المساجد في هذه المناطق المذكورة، وبعدئذ تم تأسيس جمعيات إسلامية متعددة القوميات عام ١٩٥٧ في كل من مدينتي سيدني ومالبورن أما الجمعيات العربية فقد نظمت نفسها في مدينة سيدني عام ١٩٦٠.

والى حد عام ١٩٦٠ لم يؤلف المسلمون في استراليا مجمعاً كبيراً يوحد بين تلك الجمعيات الإسلامية الصغيرة القائمة على أساس قومي، إلا أنه في عام ١٩٦١ وبعد رفض السلطات الأسترالية السماح للمسلمين بالزواج على الطريقة الإسلامية - كما يفعل القساوسة بالنسبة للمسيحيين - حدثت نقطة تحول للمسلمين أدى إلى وحدتهم وتكوين مجمع كبير يوحد الجمعيات الإسلامية، ومن ثم القبول بالسماح بالزواج بالطريقة الإسلامية، وقد تم إعادة تنظيم الجمعيات الإسلامية بعيداً عن الأسس العرقية، وتأليف الجمعيات على أساس المعايير الجغرافية بحسب المناطق طبقاً لكل ولاية في استراليا، وكان على الجمعيات الإسلامية في كل ولاية تأليف مجلس إسلامي يمثل كل المسلمين في الولاية، وتؤلف المجالس الإسلامية مجلساً إسلامياً أعلى على المستوى القومي

الأسترالي.

وقد حصلت نشاطات مكثفة طوال عام ١٩٧٥ أدت إلى زيادة عدد الجمعيات الإسلامية، حيث أصبحت تسع جمعيات بالإضافة إلى جمعية الطلاب المسلمين، تجمعها منظمة الجمعيات الإسلامية للاتحاد الأسترالي، ثم ازدادت ازدياداً ملحوظاً في السنين القادمة.

وقد سعت الجمعيات لدى السلطات الأسترالية للاعتراف بها كما تعترف بالهيئات التمثيلية للأديان الأخرى السائدة في البلاد، كما نشطت لدى المنظمات الإسلامية العالمية للاعتراف بها كذلك.

وكانت برامج هذه الجمعيات تأهيل أئمة المساجد، وتأمين التربية الإسلامية لأطفال المسلمين، وقد استمرت رئاسة الجمعيات الإسلامية في تحقيق النجاح تلو النجاح طوال السنوات الماضية بحل مشاكل المسلمين وتوفير الكثير من متطلباتهم وفق قدراتها وإمكاناتها في المجال الثقافي والاجتماعي والديني، مما أعطى للمسلمين حضوراً بارزاً في الوسط الأسترالي.

الموقف تجاه المسلمين

بالرغم من التعددية الثقافية في التعامل العرقي في أستراليا إلا أنه مازال هناك قدر كبير من التحامل في المجتمع بمجمله تجاه المسلمين، وحسب إحصاء عام ١٩٨٦ فإن ٠,٧ بالمائة من الأستراليين يُصنفون على أنهم مسلمون، وهذا ما يجعل من الإسلام ثاني أكبر ديانة بعد المسيحية، لكن بالرغم من ذلك لا يشكل المسلمون في أستراليا سوى مجتمع عرقي له شعور تاريخي واجتماعي مشترك، أما كمجموعة دينية فيفهم على أنها مجموعة متميزة داخل المجتمع الأسترالي، ويرتبط هذا الفهم ببعض الأنماط الثابتة والمواقف المحددة التي يتخذها معظم أفراد المجتمع. وقد أظهرت نتائج مسح أجراه مؤخراً مكتب شؤون التعدد الثقافي أن معظم الأستراليين ينظرون إلى المسلمين بشكل سلبي حيث قيل: (ضمن السكان الأستراليين يواجه المسلمون أكبر تحامل، يليهم في ذلك الفيتناميون ثم الأتراك ثم بقية الآسيويين)..

ومع كل هذه الصعوبات فإن المسلمين في القارة يضطلعون بمسؤوليات جمة خاصة دورهم الريادي في اكتشاف أعماق القارة، يتم ذلك بتطوير ذلك الدور الإيجابي عبر تقديم العون والمساعدة المادية والمعنوية للأجيال المسلمة الحالية، لتعميق الجذور الإسلامية وتأصيل نور الإسلام في هذه القارة وتمتين العلاقات بين الجالية المسلمة فيها والعواصم الإسلامية الأخرى.

المصادر

- ١ - الأقليات المسلمة في الغرب. تحرير سيدر عابدي وضياء الدين ساردار
- ٢ - المسلمون في العالم، جغرافياً وتاريخياً.
- ٣ - دائرة الموسوعة الشيعية الإسلامية. حسن الأمين.

قراءة في كتاب

(حديث رمضان)

لآية الله الشهيد السيد حسن الشيرازي (قدس سره)

نزار الموسوي

كتاب حديث شهر رمضان لسماحة السيد آية الله السيد حسن الشيرازي (قدس سره) كتاب جامع شامل تناول فيه الكاتب (قدس سره) كل ما يتعلق بشهر رمضان المبارك بطريقة أكاديمية دقيقة أعطت الموضوع حقه، بحيث أبرزت كل معالم هذا الشهر وبكل ما يتعلق به، حيث تناول الكاتب كتابه بالطريقة التالية متناولاً المواضيع كما يلي:

بعد دعاء استقبال شهر رمضان تناول سماحته شهر رمضان والصيام في القرآن ثم الصيام في خطب الرسول (صلى الله عليه وآله)، ثم الصيام في الحديث ثم تحدث عن كيفية استقبال شهر رمضان، وفلسفة شهر رمضان، ثم ذكريات شهر رمضان وفلسفة الصيام وفوائد الصيام على الصعيد الاجتماعي والنفسي والصحي، ثم تناول الجانب الفقهي للصوم من أحكام ونوافل ومكروهات وبعض الأسئلة والأجوبة حول الصيام، ثم بعض القصص وكيفية إحياء شهر رمضان في البلدان والتي أطلق عليها بتشريفات شهر رمضان، ثم بعض آداب الصوم إلى العيد فالخاتمة، وفيما يلي تذكر لبعض ما ذكر تباعاً لكي نرى عمق ما جاء في هذا الكتاب وعمق علمية الكاتب (قدس سره).

شهر رمضان

تحدث الكاتب عن شهر رمضان بلأزمه الذي لا ينفك عنه وهو الصيام، لذلك تناوله في ثلاثة مطالب مع صلاة شهر رمضان أي دعاء شهر رمضان.

١) الصيام في القرآن

جاء في القرآن الكريم العديد من الآيات الكريمة الدالة على وجوب الصيام وأهميته، ومنها ما يلي.

أ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (١).

ب - (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ... وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ... أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً) (٢).

١ - سورة البقرة، الآية ١٥٣.

٢ - سورة الأحزاب، الآية ٣٥.

٢) الصيام في خطب الرسول (صلى الله عليه وآله) منها:

عن الإمام الرضا (عليه السلام) عن آبائه عن علي (عليه السلام) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) خطبنا ذات يوم فقال: أيها الناس، إنه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة، شهر هو عند الله أفضل الشهور، وإيامه أفضل الأيام ولياليه أفضل الليالي وساعاته أفضل الساعات... ينظر الله فيها إلى عباده يجيبهم إذا ناجوه، ويلببهم إذا نادوه ويستجيب لهم إذا دعوه.

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال في خطبة له:

(... ومن صام شهر رمضان في إنصات وسكوت، وكف سمعه وبصره ولسانه وفرجه وجوارحه من الكذب والحرام والغيبة تقرباً قرّبه الله منه، حتى تمس ركبتاه ركبتي إبراهيم خليل الرحمان).

٣) الصيام في الحديث

قال الإمام الصادق (عليه السلام): (إذا صمت فليصم سمعك وبصرك وجلدك.. ولا يكن يوم صومك كيوم فطرك).

سأل هشام بن الحكم الإمام الصادق (عليه السلام) عن علة الصيام فقال:

(إنما فرض الصيام ليستوي به الغني والفقير، وذلك أن الغني لم يكن ليجد مس الجوع فيرحم الفقير، لأن الغني كلما أراد شيئاً قدر عليه، فأراد الله تعالى أن يسوّي بين خلقه، وأن يذيق الغني مس الجوع والألم ليرق على الضعيف ويرحم الجائع).

استقبال شهر رمضان

في استقبال شهر رمضان تحدث سماحته بعض الشيء عن فلسفة شهر رمضان وأنه لا بد أن نستقبل شهر رمضان بقلوب كلها أمل برحمة الباري تبارك وتعالى حيث قال: إن شهر رمضان مدرسة ذات فلسفة ورسالة، فشهر رمضان مدرسة الروح والفكر والضمير، ودورة تكميلية للنواقص البشرية، وحملة تطهيرية لتصفية الرواسب التي تتكلس في قرارات النفس خلال أحد عشر شهراً.

فالإنسان الذي يعيش الاجتماع - أو مع المجتمع - سنة كاملة يقتحم في غصونها كل جو ويباشر كل تفكير ويمارس كل تجربة، تترسب في عقله وعواطفه أكوام باهضة من الغبار الاجتماعي نتيجة الصراع الاجتماعي الدائب في كل مكان يعيشه أكثر من إنسان، فلا بد لمن يعيش هذا الاجتماع من (عاصم وداع) يأخذ بيده حتى يتفاعل مع هذا المجتمع فينمو ويتطور إلى حيث يحسن الانطلاق مع إرادة المجتمع، وشهر رمضان يقوم بجزء من دور (العاصم) وتتجسد رسالته في إسباغ الحصانة على الفرد والمجتمع.

فهو فترة للتأمل والتفكير ومحاسبة النفس والإسلام قرر شهر رمضان حتى يكون شهر التبتل والانقطاع الذي يسلخ الفرد من التوغل في الحياة المادية الرتيبة ليفرّغه للتمسك بذلك المعقل الحريز - وهو القرآن - ثم يتساءل السيد ويقول: ألا ترى الإسلام كيف دفع الناس إلى تلاوة القرآن وكيف يحبذ الإكثار من الأدعية المأثورة وكيف يحفّز على الاعتكاف وكيف يدعو إلى حسن الخلق والعفو والإحسان.

فشهر رمضان بمؤهلاته وآدابه فترة المحاسبة والحصانة التي لا يحصل الاعتدال والنبوغ إلا فيها ولا يقدر إلا بقدرها.

بهذه الروح لا بد أن نستقبل شهر رمضان، أما الذين لا يفقهون شهر رمضان إلا فرضاً محتملاً لزمهم كما

تلتزمهم الأتاوات والالزامات الحكومية الجائرة فهم الذين يستقبلونه كل عام بتذمر ونقمة، ولا يمر بهم شهر رمضان إلا ويتسفلون - من الأسفل - بمقدار ما يجب أن يرتفعوا به، وأكثر ما يحز في واقع المسلمين هو هذا حيث إن معظم المسلمين لا يكادون يذكرون شهر رمضان إلا قبل حلوله ولا ينصرم عنهم إلا ويتناسونه ويسدلون على ذكرياته ستار الإهمال ونتيجة هذا وغيره تحولت الفرائض الدينية في وعي المسلمين إلى تقاليد لا تهدف إلا ذاتها، فهي مفروضة لأن الله تعالى شاءها فحسب دون أن يعرفوا لها فلسفة أو يتصوروا أن لها جذوراً وفروعاً في الحياة الاجتماعية.. وقد تغلغل هذا التصور في بعض الأوساط المؤمنة إلى حيث نرى الناس يرفضون الإيمان بأن الله تعالى شاء الفرائض لتركيز الشخصية المسلمة حتى بات من المشاهد إن كثيراً من المتدينين الملتزمين بحدود الله لا يحققون هدفاً واحداً من أهداف الإسلام، ولا تطفح على أعمالهم وسلوكهم مسحة من روح الإسلام وتعاليم الرسول (صلى الله عليه وآله) وتبعاً لذلك كثر في الصائمين من لا يعترف بصيامه الإسلام، ولا يعدو صومه حرماناً بليداً فشاعت بينهم النماذج التالية.

- ١) أولئك الذين يحيون اللهو والتحلل والمجون في سائر الشهور، فإذا حان شهر رمضان خلصوا إلى الصيام والمسجد والعبادة ومظاهر المتقين، فإذا انسلخ الشهر سلخوا مسوحهم وكشفوا عن واقعهم.
 - ٢) أولئك الذين يدمنون الصيام والتلاوة والدعاء في أيام شهر رمضان ويعيشون الهزل واللهو عبر ليالي هذا الشهر.
- وغيرهم كثير مذكور في محله.

فلسفة شهر رمضان

تحدث سماحة السيد عن فلسفة شهر رمضان تحت جانبين هما اشتقاق كلمة رمضان، فقه شهر رمضان.

١) اشتقاق رمضان

إن كلمة شهر رمضان مشتقة من (الرمض) بمعنى الهاجرة كما يقول أهل اللغة، ولكن هناك عدد من الأحاديث تؤكد أن رمضان من أسماء الله وسمي هذا الشهر بـ(شهر رمضان) لاختصاصه بالله كما يقال، ولذلك كره الينا أن نقول (رمضان) بل اللازم أن نقول (شهر رمضان)، وعن علي (عليه السلام): لا تقولوا رمضان فإنكم لا تدرون ما رمضان، ولكن قولوا: شهر رمضان كما قال الله عز وجل شهر رمضان. ولكن الرأي الفقهي على أن هذه الاطلاقات مكروهة فحسب.

٢) فقه شهر رمضان

يقول السيد، قبل أن نبحث عن (فلسفة الصيام) يجدر بنا أن نعرف كنه فلسفة شهر رمضان، وأن لا نغلق أذهاننا عن فقه شهر رمضان، لأنه من التطرف أن نستجيب له كشهر فرض فيه الصيام لا أكثر، بل هو شهر آثره الله تعالى بالصيام دون سائر الشهور، وما ذلك إلا لخصائص أولته الأسبقية وجعلته سيد الشهور، وعليه فقد ذكر السيد (قدس سره) لهذا الشهر عدة أسماء مستقاة من خصائصه منها:

١ - شهر الله الأعظم الذي خصه الله بنفسه.

ويذكر السيد لماذا اعتبر شهر رمضان هو شهر الله الأعظم دون غيره، يقول لأنه مرفأ الضمان، لأن النفس خلال أحد عشر شهراً تقوم مقارعة الكفر والنفاق حتى إذا نفدت الذخيرة التقت بشهر رمضان آخر وهكذا.

٢ - روافد المعروف.

حيث شاء الله أن يكون شهر رمضان شهره الذي تستحم فيه الأرواح ليظهرها من السخائم والأدران، هذا الشهر الذي فجر فيه روافد الخير والرحمة لأن فيه:

أ - الكتب السماوية

التي حققت أماني البشرية وانتصارها على الإرهاب ومخاطر الحياة تنزلت في شهر رمضان، فالتوراة نزلت في السادس من شهر رمضان، والإنجيل نزلت في الثاني عشر من شهر رمضان، والزيور نزل في الثامن عشر من رمضان، والقرآن نزل في ليلة القدر.

ب. الصوم

إن فرض الصيام في هذا الشهر هو تكريم لإحجاز تنظيم الإنسان بإرسال الكتب السماوية، لأن الحفاوة بالبواعث الروحية لا بد أن تكون بالاستجابة الروحية، حيث إن تكريم كل شيء بنوعه كما هو تكريم الانتصارات المادية يكون بالمواد المادية، فالصوم هو خير وسيلة لتجريد النفس لتلقي النداء من السماء عن طريق الكتب.

ج. ليلة القدر

التي تعادل عبادتها إحياء ألف شهر كامل بالعبادة، فبعد أن زود الله شهر رمضان عرقين رئيسيين (الكتب السماوية - الصيام) يجعلان منه شهر الله جعل فيه ليلة القدر التي تمثل عقدة القلب في شهر رمضان، وتبلغ فيها المكرمات قمة نبوغها، وغيرها من المستحبات في هذا الشهر جعلت منه شهر الله.

٣) شهر التبليغ

٤) شهر التطور

أ - لكونه فرصة للاستجمام أي أن تفكير الإنسان يملّ من معالجة المشاكل ومقاساة الآلام متى استخدم لمواصلة العمل سنة أو سنين فيحتاج إلى فرصة للاستراحة والاستجمام، وهذه الفرصة يجدها موفورة في شهر رمضان.

ب - ولكونه فترة للنموغ لأن الإنسان غالباً ما لا تتاح له فرصة لتخطيط المستقبل خلال فترة العمل، لذلك فالفرصة الكافية، لتجديد النظر في الحياة تتاح للإنسان على أوفرها خلال شهر رمضان.

٥) شهر العبادة

٦) شهر التوبة

٧) شهر الذكر

٨) شهر الجهاد

حيث قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (الخيال معقود بنواصيها الخير).

فالسيف والخيول هما عصب الحروب وأداة الجهاد، وإذا كان كل الخير في الخيل والسيف فلا إيمان بلا جهاد ولا إيمان بلا خير، فكان من الطبيعي أن يقول الله سبحانه وتعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ).

٩) رباط الإسلام

يقول سماحة السيد (قدس سره): إن شهر رمضان هو رباط الإسلام، وذلك من خلال كونه جامعاً لأركان

الإسلام، فالشهادتان تتكرران في أيام شهر رمضان أكثر من غيرها لكثرة القربات والصلوات في هذا الشهر، والزكاة تزداد أيضاً كزكاة الفطرة والكفارات والإفطار وسائر البر، والصوم قد خصص بهذا الشهر قبل كل شيء، والحج وإن كان لا يتمثل في شهر رمضان ولكن شهر رمضان تعبئة عامة للحج كما تتراءى في الأدعية السنوية كل ليلة.

١٠) جامعة المسلمين

حيث يمثل شهر رمضان جامعة روحية توحد مشاعر المسلمين، وتجمع قلوبهم على الطاعات والحسنات، وتمنعهم في أوقات متماثلة عن رغبات البطن والجنس منذ بزوغ الفجر حتى المغرب، ثم تسمح باستعادة الحياة السابقة وهكذا.

ذكريات شهر رمضان

يقول سماحة السيد (قدس سره): إن تاريخ هذا الشهر المبارك حافل بذكريات تعتبر حجر الزاوية في كيان الإسلام على مر القرون، فقد تتابعت فيه الأمجاد الخالدة لهذه الأمة وهي تحمل بين جنباتها أحداثاً جساماً كان لها دور كبير في انقلابات خطيرة غيرت سنة التاريخ في كثير من قطاع الأرض، ومن تلك الذكريات ما سبقت تشريع شهر رمضان في الإسلام ومنها ما توالى بعده ولكنها جميعاً مما يؤهل هذا الشهر لأن يعيشها المسلمون عيداً ومهرجاناً، واليك بعضاً منها:

١) الكتب المقدسة، (٢) مولد النور، (٣) ليلة القدر، (٤) غزوة بدر الكبرى ١٧ شهر رمضان، (٥) فتح مكة ٢١ شهر رمضان، (٦) المؤاخاة ١٢ شهر رمضان، (٧) شهادة بطل الإسلام الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في ٢١ شهر رمضان، (٨) وفاة أبي طالب ١٧ شهر رمضان، (٩) وفاة السيدة خديجة الكبرى أم المؤمنين (عليه السلام)، (١٠) ميلاد الحسن المجتبي (عليه السلام) ١٥ شهر رمضان، (١١) ميلاد الإمام محمد بن علي الجواد (عليه السلام) في بعض الروايات، (١٢) فتح ثغور الأندلس (إسبانيا)، (١٣) بيعة الناس مع الإمام علي بن موسى الرضا (عليهما السلام)، (١٤) انهزام الإفرنج الذين استولوا على سوريا وضواحيها، (١٥) استنقاذ البلاد الإسلامية من التتار ثلاث مرات في شهر رمضان عام ٦٥٨ و ٦٦٦ و ٧٠٣ هـ، (١٦) فتح المسلمين جزيرة (رودس)، (١٧) سقوط الدولة الأموية، وغيره الكثير مما حازه المسلمون في هذا الشهر المبارك.

وكما يقول سماحته: لعل هذه المناسبات التي سبقت تشريع الصيام بهذا الشهر والتي قدر أن تلحقه كانت السبب أو بعض السبب في تخصيص الصيام بهذا الشهر دون غيره، فإن تواتر الالمامات الروحية في فترة زمنية يجعلها السبق يمثل الصيام الذي هو تجاوب روحي واع، وربما يكون هذا التخصيص لأن الله تعالى خص هذا الشهر بنفسه ليكون شهر الطاعة والغفران فقرر فيه الصيام وباقي القربات، وقد يفسر هذا النوع من التخصيص بمجرد تركيز معنى الطاعة والالتقياد في الأذهان وترويض العباد على الخضوع للنظام... كما قد يتراءى هذا الجانب في بعض العبادات.

فلسفة الصيام

تناول الكاتب هذا المبحث من خلال ثلاثة مطالب مهمة وهي: حقيقة الصوم، والصوم في سائر الشرائع، وأنواع الصوم، وكما يلي:

(١) حقيقة الصوم

الكيان الإنساني يحكم فطرته التي فطره الله عليها وحده تشمل الجثمان والروح، ولكل من الجثمان والروح مطالب تناسب طبيعته ودرجته في مراتب الوجود، فالجثمان لا يفترق عن بقية أنواع المادة في قبوله للزيادة والنقص والقوة والضعف... ومن أجل ذلك فهو محتاج إلى مقومات تقومه من نوعه كالغذاء والكساء، ولكن الروح بطبيعتها العلية لا تطلب المقومات العنصرية وإنما هي تواق إلى الشرف والكمال للإمام بأسرار الكون والتطلع إلى ما وراء الطبيعة.

إذاً علينا أن نلتزم حاجات الروح والجسد فنعدل بينهما ونوفيهما حقوقهما العادلة، فإذا كان الجسم يحتاج إلى نظام الصحة في استيفاء سعادته فكذلك الروح تحتاج إلى نظام الدين في استيفاء نموها الطبيعي ورشدها المأمول، فالصيام من سنن الدين التي تعمل لتكليف الروح... وهو للروح كالرياضة السنوية للجسم، فكما أن قانون الصحة يحتم على كل عامل يريد حفظ صحته أن يريض نفسه شهراً كاملاً في السنة يقلل فيه من غذاء النفس (أي العمل في الحقول الفكرية) كذلك نظام الصحة الروحية يفرض على كل إنسان أن يقلل شهراً في السنة من غذاء جثمانه... ومن هنا كان الصوم ركناً هاماً من أركان الدين، وهو الركن الذي يجمع بين واجب التعبد وبين ترويض الجسد والغريزة مما حل لهما المتاع به في فترات دقيقة رتيبة ليستريحان بين الحين والآخر وينشط العقل والروح، وهنا تكمن عبقرية الإسلام فليس هو دين دنيا فقط ولا دين آخرة فحسب كما عبّر عن هذا الواقع سيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله) حيث قال: (ليس خيركم من ترك دنياه لأخرته ولا من ترك آخرته لدنياه بل خيركم من أخذ من هذه وهذه).

(٢) الصوم في سائر الشرائع

كان الصوم ركناً في جميع الأديان السماوية وأشباه الأديان وحتى في الشرائع الوثنية، فقد كان قدماء المصريين والإغريق والرومان وسكان ما بين النهرين في العراق يصومون أياماً مختلفة في العام. وقد روي إن نوحاً صام مائة وخمسين يوماً لما جنحت به السفينة إلى البر وموسى بن عمران (عليه السلام) كان يصوم ثلاثين يوماً كل عام، واليهود والنصارى كذلك. فاليهود يصومون يوماً واحداً بالسنة هو يوم عاشوراء، ابتهاجاً بنجاة بني إسرائيل من الغرق، والنصارى أشهر صومهم هو الصوم الكبير الذي يقال إن عيسى بن مريم كان يصومه.

(٣) أنواع الصوم

أ. الصوم عن بعض ألوان الطعام

ب. الصوم عن الكلام وصوم الصمت

ج. الصوم في الإسلام

وكما هو مبين في موارد وفيه الصوم الواجب كشهر رمضان، والتطوع ثلاثة أيام من كل شهر، والمكروه كصوم يوم عاشوراء، والمحرم كيومي العيدين الفطر والأضحى وآخر يوم من شهر شعبان بنية شهر رمضان.

فوائد الصوم

تتجلى فوائد الصوم الرئيسية في ثلاثة رؤوس: الاجتماعية والنفسية والصحية. والحديث جارٍ عنها تباعاً مع التنبيه كما يقول السيد بأن هذه الفوائد ليست مشاعاً بين مختلف الطبقات، فمنها ما يخص الغني وحده، ومنها ما يخص الفقير وحده، ومنها ما هو مشترك بينهما سواء بسواء، لكن السيد (قدس سره) ذكر هنا ما ينفع الجميع.

(١) الفائدة الاجتماعية

وهذه الفائدة تتجلى للصوم في الأمور التالية:

أ. النظام

ب. المساواة

ج. الرحمة

فبالصوم يصبح المجتمع ملائكياً يشعر الأغنياء والفقراء فيه بالمساواة، فلا يثور الفقير على الغني ولا يستعلي الغني فيه على الفقير، فيكون المجتمع الملتزم بالصوم معجزة من معجزات الإسلام التي عجزت عن الاتيان بمثلها قوانين الأرض.

د. الحرية

فالصوم ينشر في المجتمع روح الحرية كما يجب أن نفهمها، فهي - الحرية - استقلال تفكير الفرد في أن يفعل ما يشاء، وهي ما يقابل العبودية التي تعني أن هناك سلطات تحاول فرض توجيهها على الفرد داخلية كانت أم خارجية.

ويقول سماحته: إن الإنسان تتجاذبه أربع عبوديات هي عبودية الله والعقل والسلطان الجائر والنفس، ولا بد أن يكون الإنسان خاضعاً لاثنتين من هذه العبوديات الأربع، ولا يستطيع التحرر من اثنتين إلا أن يرضخ لاثنتين. فإما أن يكون خاضعاً لله والعقل، وإما أن يستعبده السلطان الجائر والنفس، ولا يمكن أن يتحرر من عبودية السلطان الجائر والنفس إلا إذا رضي بعبودية الله والعقل، وإذا كان الإنسان مخيراً بين أن يختار أي نوع من هذه العبوديات الأربع فالذي يرضى بعبودية الله والعقل يكون حراً بأكمل معاني الحرية وأنبليها، ويقول أيضاً، إن الحرية وفق مفهوم الكثيرين تقتصر على معنيين هما:

(١) أن لا يكون الفرد عبداً مملوكاً لفرد آخر.

(٢) أن يتمتع الفرد بالحقوق الإنسانية العامة التي وردت في الوثيقة الدولية لحقوق الإنسان، يقول (قدس سره): هذا صحيح إلا أنهما ليسا كل ما في الحرية من محتوى، إذ تسبقها حرية أخرى قد تكون هي الحرية الحقة التي تنطلق منها معاني الحرية وهي حرية الفرد من شهوات نفسه التي بين جنبيه. فإذا سيطرت عليه شهواته عاش أسيراً يخضع لنفوذها، وهذا المعنى للحرية يتحقق في أوضح مصاديقه في الصيام.

هـ. الضمار

ويوضحه السيد (قدس سره) بقوله: هو تعبئة إعدادية عامة، تأهب القادرين على خوض معترك الحياة لاقتحامه كلما دقت الأجراس.

فالخيل تضمر قبل السباق، والجندي يتدرب قبل المعركة، وكل صاحب مهنة أو وظيفة يجرب قبل أن يعهد إليه بمسؤوليته، ولكن ليس هناك إعداد عام لحمل أعباء الحياة سوى الصيام، فهو الضمار العام للحياة.

(و) الإيمان

فهو عادة أكثر من كونه فكرة فالصدق يسهل له الصدق بينما يثقل عليه الكذب، والصوم يمتاز عن بقية العبادات بأثره الفعّال في جعل الإيمان عادة، لأن الصوم دائماً يكون قربة إلى الله، ولا يتسلل إليه الرياء ولا السمعة، ففي وسع أي فرد أن يفطر متى شاء دون أن يعلم به الناس فإذا لم يفطر طول النهار فهو يدل على أنه كان متذكراً لله ولو بالارتكاز.

(ز) اختبار سنوي

فالصوم اختبار سنوي للمنتميين إلى الدين الإسلامي، وامتحان لضمائرهم وأعصابهم وإيمانهم، أي أنه عملية تفتيش ديني وصحي وإرادي وثقافي واجتماعي وخلق.

(٢) الفائدة النفسية

تتلخص الفائدة النفسية للصوم كما جاء في الكتاب بما يلي:

(١) الإرادة

هي الفاصل بين العبودية والحرية، فالإنسان الذي يخضع لإرادة شهواته وعواطفه فهو عبد لها والعكس بالعكس، فوظيفة الإرادة في حياة الإنسان هي وظيفة الضابط في المعسكر، فالإرادة تكبح جماح الغريزة وتخفف غلواء الحيوان الذي يعيش في عروق الإنسان فيثير شهواته وعواطفه، ولما كانت الإرادة هي التي تملك حياة الإنسان كان على الإنسان أن يهتم بتكوين الإرادة حتى يستطيع أن يطيع الإسلام، ففرض عليه الصوم الذي هو مدرسة الإرادة ليحفظه من السقطة والضياع. أما كيف فيجيب السيد (قدس سره) على هذا السؤال بقوله: الصوم يؤدي إلى تكوين الإرادة من ناحيتين:

أ. إن الصوم يحدّ من طغيان الجسم على الروح والمادية على الإنسانية من خلال رفضه لتلبية متطلبات غرائزه وشهواته، لكن هذا الأمر قد يؤدي إلى سؤال مهم جداً أجابه السيد أيضاً وهو: إن الصوم إلى جانب كونه ترويضاً للنفس - الإرادة - هو عبادة لله كبقية العبادات التي يلتقي فيها الإنسان بربه فتتضاءل إرادته وتذوب إزاء إرادة الله تعالى وكيف يمكن تقوية الإرادة بعرضها على التضاؤل والذوبان؟ أي من الصوم يؤدي إلى تكوين إرادة الإنسان وذوبانها في نفس الوقت. أجاب سماحة السيد (قدس سره) على هذا السؤال بما يلي:

إن إرادة الإنسان عندما تخشع أمام إرادة الله سبحانه لا تذوب لتموت وإنما لتتحيا وتدوم، فالإرادة الإنسانية إذا استقلت في الوجود تكون متهافئة قابلة للانتهيار أمام الأهوال، لكن إذا انصهرت الإرادة الإنسانية في الإرادة الإلهية تعود إلى الحياة أقوى ما تكون على مواجهة الأحداث في ميادين الصراع، حيث تتخذ من الانضمام إلى إرادة الله مصدر قوة وثقة.

ب. إن الصوم حيث يطول أمره شهراً كاملاً يغيّر برامج حياة الفرد الرتيبة التي اعتادها طيلة أيام السنة، وعليه سوف يحدث صراع بين العادة التي ملكت حواسه مسلّمة بقوة الشهوة إلى الأكل والشرب وبين الإرادة التي تمنعه عن شهواته ولذائذه اختياريّاً، وما ذلك إلا استجابة لأمر واحد من أوامر دينه، ومن كان كذلك لابد أن تخرّ على أقدامه الأهواء والعادات صرعى.

(٢) الثبات

هي الميزة النفسية الثانية للصوم وهي مترتبة تماماً على الأولى أي الإرادة، حيث يقول السيد (قدس سره): إن الإرادة في النفس هي بمثابة مركز الأعصاب في الجسد، فمتى قويت الإرادة تفرعت عنها صفات كثيرة، أهمها إن الفرد يسيطر على نفسه بحيث لا تتمرد عليه أعصابه ولا ترتبك مشاعره مهما عصفت به الأزمات، وهذا هو حقيقة الثبات، وبما أن قوة الإرادة مترتبة على الصوم كما أوضحنا سابقاً، إذاً الثبات كذلك لأتبعهما متلازمان.

(٣) التحمل

من الفوائد النفسية الأخرى للصوم هو التحمل، وبيان ذلك يقول السيد (قدس سره): كان الإنسان وحشاً خرج من الغاب ولكن لم يخرج الوحش من الإنسان الراقد في ثنياه الذي قد يطغي عليه فيثور ويلعن ويسب ويحكر الحياة، هذا كله إذا وجد متنفساً للتغيير عما في داخله، لكنه بالمقابل قد لا يجد فرصة للتعبير عما في داخله من سوء خلق فيجزع والعياذ بالله، وقد تصل به النتيجة إلى الإحتجار، فالصوم جاء لترويض ذلك الوحش في نفس الإنسان ليصبح إنساناً مستأنساً يألف الناس ويألفونه وكما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (المسلم ألف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف) وجاء لمعالجة الجزع وعدم الاحتمال، فإذا كان الصوم اختياراً لأية فضيلة فهو قبل كل شيء اختبار للاحتمال، وكما قال النبي (صلى الله عليه وآله): الصوم نصف الصبر والصبر نصف الإيمان.

(٤) الأخلاق

(٥) الجود

وفلسفة ذلك إن الصائم حيث يتذوق ألم الجوع والحرمان يعيش حياة الفقراء والمساكين ويشعر بشعورهم، فيرق قلبه ويلين جناحه، فيجود عليهم بطيب النفس، ولهذا السبب نجد أن الفقراء أرق على بعضهم من الأغنياء.

(٦) الشكر

وبيان ذلك أنه متى يعرف الإنسان مقدار النعمة الإلهية كي يشكر الله يكون ذلك إذا فقدها، فليس في الناس من يشكر نعمة السمع مثلاً إلا قليلاً ممن رَوَّضوا أنفسهم بالعبادات، ولكن إذا أصيب بالصمم الكامل يعرف مدى عظمة نعمة السمع ويقدرها تقديراً، فالصوم مرتبة بدائية من المواعظ العملية حيث يسلب الله به من العباد بعض نعمه في أوقات محدودة مع بقاء الاختيار لهم، كي يتذوقوا ألم الحرمان، فيعرفوا نعم الله ويشكروه عندما يحل لهم الطيبات.

(٧) العفة

فيه يصبح الإنسان عفيف البطن والفرج واللسان وغيرها.

(٨) الأمانة

لأنه من تعود الأمانة في ترك الأكل والشرب والجنس اختياراً وهي ضرورية فقد تعودها في كل شيء.

(٩) التقوى

وذلك من خلال كون الله سبحانه وتعالى حاضراً لدى الصائم طوال يومه بدليل الابتعاد اختياراً عما نهاه الله

عنه وباستمرار ساعات النهار وتكرار أيامه تقوى في نفسه حالة حضورية فيكون دائماً في خشوع وتواضع ووقار.

١٠) الإخلاص

وعلى ما تقدم من التقوى لابد أن يكون الصائم صادقاً مخلصاً مع نفسه ومع الناس ومع الله، ولعل سر خلوص جزاء الصوم هو أنه عبادة لا يطلع على حقيقته الوفاء بها سوى علام الغيوب.

١١) تزكية النفس

من خلال تحرير الإنسان من عبوديتها المذلة للأهواء والشهوات وإطلاقها من تلك القيود نحو عبادة الله.

١٢) إنكار الذات

إن الرفض المتواصل لطلبات النفس وكبح جماحها بالامتناع عن المشتبهات الجسدية يذل النفس ويحد من غرورها وغلوائها فتصبح ذليلة طيعة، وإذا تكرر هذا الرفض كثيراً من خلال الصوم انتهى بتركيز إنكار الذات في نفس الصائم.

(٣) الفائدة الصحية

إن الفائدة الصحية للصوم تتجلى في مظاهر متنوعة وكثيرة، منها فوائد عامة، ومنها فوائد ناتجة عن الإمساك عن المباشرة الجنسية ومنها فوائد ناتجة عن الإمساك عن الأطعمة والسوائل. فالفوائد العامة للصوم هي:

١) تهدئة الأعصاب

فالصوم أفضل وسيلة لتخفيف القلق والتوتر والثورة النفسية لأمرين:

- أ. إن الصوم يرفع المستوى الفكري للإنسان فوق مجال المادة والحياة حتى لا تفتك به المصائب والهموم.
- ب. إن الصوم يساعد على خفض ضغط الدم الذي يساعد أو يسارع على القلق والتوتر إثر الخسارة.

٢) ترويض النفس

ورد في الحديث (أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك)، فالنفس كالأرض إن أهملت تنبت الحشائش والأشواك وإن روعيت تنبت كلما حلى وطاب، فالنفس إن تركت فهي تعبر عن طاقاتها بالشهوات، وإن روضت تعبر عن طاقاتها بالملكات، وعندها يصح الجسم ويستريح الجسد.

٣) مطاردة القلق

وذلك من خلال الاستسلام لله سبحانه وتعالى، وإذا استسلم الإنسان لله غمره السلام والإطمئنان وقد أشار القرآن إلى هذه الحقيقة عندما قال: (أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) والصوم يذكر في الإنسان الاستسلام لله تبارك وتعالى.

* أما الفوائد الناجمة عن الكف عن الجنس فأقلها هو تحقيق الاعتدال والموازنة الحيوية وصلاحية البقاء، لأن الاستجابة المطلقة لها تجعل المرء أسير الإرادة فضلاً عن الانسياق مع الغرائز يضعف حيوية الجسم وقدرته على الإخصاب والإنجاب، علماً إن الله تبارك وتعالى لفت الأنظار إلى أن الغرائز الجنسية ليست للتمتع الرخيص وإنما لحفظ النسل البشري وامتداد الحياة.

* أما الفوائد الناجمة عن الكف عن التغذية والأشربة فتختصر بما يلي:

أ - إتاحة الراحة للجهاز الهضمي

وكما قال الباري تبارك وتعالى: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا) وكما في الحديث (المعدة بيت الداء). فعلى الإنسان أن يمتنع عن الإسراف في التغذية فترة تستهلك فيها رواسب التخمة حتى يستريح الجهاز الهضمي، فيستطيع استعادة نشاطه للوجبة التالية دون أن يدركه الإعياء والانهيار.

ب . حفظ الجسم من السمنة

ج . الصحة العامة حيث غالباً ما يستعمل الصوم كوقاية أو علاج للأمراض مثل اضطراب الهضم وأمراض القلب والكبد وارتفاع ضغط الدم وهكذا.. ومن الملفت للنظر إن كل ما كتب فيما يتعلق بفوائد الصوم الصحية خصوصاً وغيرها على العموم مدعم بحقائق طبية من دكاترة اختصاص كل في مجاله كما يلي: قال الدكتور (روبرت بارتولو): لاشك في أن الصوم من الوسائل الفعالة في التخلص من الميكروبات، وبينها ميكروب الزهري لما يتضمن من إتلاف للخلايا ثم إعادة بنائها من جديد.

كذلك قال الدكتور عبد العزيز اسماعيل: إن الصيام يستعمل طبياً في حالات كثيرة ووقائياً في حالات أكثر. كذلك الدكتور (محمد الظواهري) قال: إن كرم رمضان يشمل مرضى الأمراض الجلدية، إذ تتحسن بعض الأمراض الجلدية بالصوم.

وبعد أن ذكر سماعته هذا العدد الكبير من فوائد الصوم والذي يقول عنها هي ليست إلا جزء بسيطاً من فوائده توقع أن تثار عدة أسئلة حول الصوم وفوائده، وبالفعل حدث هذا، لكن أهم سؤال هو: إذا كان للصوم هذه الفوائد التي ذكرت فلماذا يجب على المسلمين الصوم بهذا النحو الخاص الذي يحدده الفجر والمغرب والإمساك عن المفطرات العشر المعينة دون غيرها؟ كيف لا يصح استبداله بصوم المرتاضين أو صوم اليهود والنصارى؟ الجواب: إن فوائد الصوم التي سبقت ليست كافة فوائد الصوم، لأن الصوم عبادة ولا بد أن يتوفر فيه أمران: أ - المصلحة الدنيوية، ب - الترويض المعنوي الذي يجعل من الإنسان عبداً لله وهو أهم من الأول كما قال الله تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) وإذا أطلق للمسلم حرية اختيار نوعية الصوم التي توفر له تلك الفوائد المادية ضاع الجانب العبادي منه وكان فاشلاً دون إنجاز هدفه.

إن الإمساك المحدود بالفجر والمغرب عن المفطرات العشرة هو المقدار الكافي لترويض الجسم والنفس، فكان الكف عن الأكل والشرب والجنس وسائر المفطرات سمواً إلى المستوى الذي تتحلى فيه بالملكات النبيلة، أما الإكثار أو الإقلال فلا يصلح لترويض النفس، لأن لكل رياضة حجم ومقدار خاص لا تنفع إلا به فكذا الصوم.

أحكام الصوم

تناول سماحة السيد (قدس سره) بعد ذلك الجانب الفقهي في الصوم، فذكر شرائطه ومفطراته وعقوبة الإفطار، ثم بعض المستحبات للصائم مثل صوم الجوارح وقراءة القرآن والتسحر والإفطار وإفطار الصائم وغيرها، ثم ذكر بعض المكروهات للصائم بها مثل قول الشعر وشم الرياحين والمغريات لأنها تؤدي إلى التمسك بالدنيا أي على خلاف فلسفة الصوم الداعية إلى الزهد بالدنيا، ثم ذكر في نهاية الكتاب فلسفة العيد وماذا يعني في الإسلام، فقال: إن الأعياد لجميع الأمم الحية والغابرة والطالعة على خطين:

(١) أعياد مادية تحيي ذكريات انتصاراتها كعيد الحرية وعيد النصر.

٢) أعياد فكرية تنسب إلى أمور جدية بالاهتمام لتشجيعها وإفادت النظر إليها كعيد الطفل وعيد الأم وغيرها.

أما أعياد الإسلام هي أيضاً انتصاراته، لكن ليس على المستوى المادي أو الفكري، بل هي انتصاراته في صراعه مع الشيطان، ويبدو أن انتصار الإنسان على الشيطان في ثلاثة أيام هي:

أ. عيد الفطر

ويجدر فيه بالإنسان أن يفرح، لأن الإنسان قد أعلن المقاومة للشيطان منذ استهلال شهر رمضان، فأغلق في نفسه نوافذ الشيطان وأخلص لله سبحانه، فلم يستطع الشيطان إغراءه وصرفه عن الله فتبّت انتصاره وانهزام الشيطان، ومن استطاع الانتصار على الشيطان شهراً كاملاً يستطيع التغلب عليه أبداً.

ب. عيد الأضحى

الذي يفرح فيه الحاج بانتصاره على الشيطان لأداء الركن الثالث من أركان الإسلام.

ج. عيد الجمعة

فالمسلم الذي يعيش أسبوعاً كاملاً في طاعة الله ومتمرداً على الشيطان لم يندع بتسولاته، وختم أسبوعه بيوم الجمعة وقام فيه بكل خير وفضيلة، فقد انتصر على الشيطان.

فهذه الأعياد الثلاثة هي أعياد الإسلام لأنها أعياد النصر والبشرى، وبذلك نكون قد أتممنا قراءة كتاب (حديث شهر رمضان) لسماحة آية الله السيد حسن الشيرازي (قدس سره) والذي بحق نقول إنه موسوعة ثقافية ضمّ بين دفتيه أروع ما قيل في حق شهر رمضان مستعيناً بجملة من العلوم موصلاً للقارئ الكريم الفكرة بأفضل أسلوب وأكمل مفاد.. والحمد لله رب العالمين.

استراحة العدد

إضاءات

الشورى في نهج المعصومين

* المستشار مؤتمن والمستشير معان

النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)

* من غش المسلمين في مشورة فقد برئت منه

النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)

* اضربوا بعض الرأي ببعض يتولد منه الصواب

أمير المؤمنين علي (عليه السلام)

* لا رأي لمن انفرد برأيه

أمير المؤمنين علي (عليه السلام)

* حق المشير عليك أن لا تتهمه فيما لا يوافقك من رأيه

الإمام السجاد (عليه السلام)

* المستبد برأيه موقوف على مداحض الزلل

الإمام الصادق (عليه السلام)

* إرشاد المستشار قضاء لحق النعمة

الإمام الكاظم (عليه السلام)

* ما حار من استخار، ولا ندم من استشار

الإمام الجواد (عليه السلام)

كومبيوتر وانترنت

مفكرة بمنظار

أنها مفكرة إلكترونية عجيبة وكأنها مخصصة للإنترنت حيث تمت الاستعاضة فيها عن الشاشة اللمسية التقليدية بمنظار صغير يسمح لمستخدم هذا الجهاز أن يشاهد ما يريد على مساحة تقارب ٢١ بوصة. Icom ستغزو الأسواق نهاية هذا العالم لتواكب كومبيوتر الجيب.

يحااصر في بريطانيا فيصلة العون من أميركا بالإنترنت

انقذ بريطاني من محبسه في غرفة بحديقته بعد أن التقط اميركي رسالة استغاثة بثها عبر الإنترنت. وقالت صحيفة ديلي تلجراف أن مازحين اغلقوا باب الغرفة على ستيفن ريلي وهو من لانكشير بشمال إنجلترا وهو منهمك في استخدام الكمبيوتر حوالي الساعة الرابعة صباحاً. وفشلت صيحاته والمحمومة في طلب العون في شد انتباه أحد. وعندما استبد به اليأس أرسل رسالة عبر غرفة المحادثة بالإنترنت طالباً ممن يلتقط الرسالة إبلاغ شرطة لانكشير. وتصادف أن التقط استغاثته متصفح للإنترنت على بعد خمسة آلاف ميل في الولايات المتحدة الذي سارع بإبلاغ الشرطة التي اعترتها الدهشة. وقال ريلي للصحيفة (عندما علمت من الشرطة أن البلاغ وصلها من شخص في أميركا شعرت بالذهول. لكن هذا يوضح مدى قوة الإنترنت) ولم يتم الكشف عن هوية منقذه.

كومبيوتر يأخذ مكان الممرضة

كشفت شركة (Panasonic) أخيراً عن نظام يسمح للأطباء بمراقبة المريض في منزله عبر الإنترنت ويعتمد هذا النظام على جهازين مختلفين وموزع مهمته ربط المريض بالطبيب المعالج. يزود المريض بجهاز كومبيوتر ذي شاشة لمسية مهمتها تلقي المعلومات الأساسية المتعلقة بصحة المريض كدرجة الحرارة والضغط الشرياني وبما أن هذا الجهاز مزود بلوحة المقاييس المطلوبة فإنه ينبه المريض صوتياً إلى ضرورة القيام بأخذ الحرارة وما إلى ذلك. وبعد جمع المعلومات يقوم هذا الجهاز بتنبيه الطبيب في الطرف الآخر في حال وجود أي خلل مما يمكنه من تزويد المريض بالتعليمات الضرورية بواسطة البريد الإلكتروني أو الهاتف المرني المدمج في الجهاز.

كمبيوتر شخصي على شكل ساعة

عرضت شركة سيتزن للساعات مع شركة آي. بي. إم للكمبيوترات كمبيوتراً شخصياً على شكل ساعة باسم ووتش باد، يعتمد على نظام تشغيل لينكس. تبلغ أبعاد الكمبيوتر الساعة ٦٥-٤٥-١٦ ميليمتراً ويزن ٤٣ غراماً، ويوضع فيه معالج ٣٢ بت، ويصمم بشاشة زجاجية سائلة، وبتقنيات بليوتوث للاتصالات اللاسلكية. هذا ومن المتوقع اختبار الكمبيوتر - الساعة في مارس آذار من العام المقبل.

طب

الجمرة الخبيثة من ذرات بكتيرية إلى مرض قاتل

الجمرة الخبيثة مرض قاتل تسببه بكتيريا عنقودية لا تشابه أنواع البكتيريا المتعارف عليها وهي نادرة للغاية وتوجد بشكل رئيسي في المراعي الخضراء خصوصاً في الولايات المتحدة وجنوب إفريقيا وبعض

المناطق الروسية.

مصادر الجمرة الخبيثة:

- ١- الطبيعة: توجد بكتيريا الجمرة الخبيثة في تربة بعض الدول الآسيوية والإفريقية وفي بعض المناطق الريفية في تكساس وأوكلاهوما وواي المسيسيبي.
 - ٢- الأسلحة البيولوجية: ينتشر مرض الجمرة الخبيثة أيضاً عن طريق البكتيريا المصنعة والتي تستخدم كسلاح بيولوجي يتم تصنيعه حالياً في نحو ١٧ بلداً.
 - ٣- المختبرات: توجد بكتيريا الجمرة الخبيثة في عدد كبير من المختبرات حيث تستخدم في إجراء الأبحاث العلمية والطبية.
- أنواع الإصابات:

- ١- الجلد: الإصابة في الجلد تظهر في شكل تقرحات مصحوبة بصداع حاد وآلام في العضلات واستفراغ وارتفاع في درجات الحرارة.
- نسبة الوفيات ٢٠% - الحالات السابقة ١٩٤٤ إلى ١٩٩٤ : ٢٤٤ حالة.
- ٢- الجهاز التنفسي: تظهر في شكل رشح وسعال تستمر لعدة أيام ويمكن أن تتطور لمشكلات خطيرة في الجهاز التنفسي.
- نسبة الوفيات ٢٥-٦٠% - الحالات السابقة ١٩٠٠ إلى ١٩٧٨ : ١٨ حالة.
- ٣- الجهاز الهضمي
- تظهر في شكل أعراض مباشرة تصاحب الجهاز الهضمي مثل فقدان الشهية والاستفراغ والآلام الشديدة في الحجاب الحاجز، وفي مرحلة متقدمة يستفرغ المريض دمًا.
- نسبة الوفيات ٢٠% - الإحصاءات حول الحالات السابقة غير متوفرة.

الفرق بين جنون البقر والحمى القلاعية

الحمى القلاعية

- تصيب الحيوانات ذات الأظلاف المشقوقة فقط، كالأغنام والماعز والأبقار والخنازير.
- يتم الانتقال كالتالي:
- ١- الحيوان يلامس الفيروس أو يتناوله.
 - ٢- يمرض الحيوان.
 - ٣- الفيروس ينتشر إلى الحيوانات الأخرى وبسهولة.
- درجة الخطورة: يسبب أعراضاً حادة أو معتدلة والحيوانات تنتج لحماً وحليباً أقل.
- الوقاية: تتم بمنع انتشار الفيروس بعزل وتدمير الحيوانات الحقلية، وكذلك عزل الأشياء الملوثة بالفيروس.

جنون البقر BSE

يصيب الأبقار، والأمراض المتفرعة عنه تصيب الأغنام والبشر.

السبب المحتمل: بروتينات تحمل المرض (prions) أو أجزاء فيروسية مقاومة للحرارة.
يتم الانتقال كالتالي:

- ١- الحيوان أو الإنسان يأكل طعاماً يحتوي على أجزاء من الدماغ أو الحبل الشوكي لحيوان مصاب.
 - ٢- المرض يهاجم الجهاز العصبي.
- درجة الخطورة: قد يقتل القطعان أو البشر. ونوبات (الجنون) ربما تظهر بعد أشهر أو سنوات من العدوى.
- الوقاية: يجب تدمير الحيوانات الحقلية، وعدم إطعام الحيوانات عموماً بأغذية محتوية على أجزاء من الدماغ أو الجهاز العصبي.

الموز يساعد في استحداث مصل مضاد للجذمة الخبيثة

قال مدير مؤسسة استرالية للتكنولوجيا أن الفاكهة المعدلة وراثياً وأغذية أخرى يمكن أن تستخدم في المستقبل لتخليق مستحضرات دوائية بما في ذلك مصل مضاد للجذمة الخبيثة. وأضاف بيتر كار رئيس مجموعة صناديق أكسيراتور لعلوم الحياة (إن الفاصل بين الغذاء والعقاقير سيختفي تدريجياً).

وأضاف أمام مؤتمر لرجال الأعمال على هامش قمة منتدى التعاون الاقتصادي لآسيا والمحيط الهادي (سيكون الدواء في الحليب.. سيكون في أشياء نتناولها يومياً، وسيصبح الغذاء أشيع أشكال الحصول على الدواء). وأردف كار قائلاً أنه تم بالفعل إجراء اختبارات الهندسة الوراثية على الموز في المعامل البحثية لمختلف الأغراض الطبية بما في ذلك التحصين ضد أربع سلالات للجذمة الخبيثة. وصرح كارل للصحفيين عقب المؤتمر (لماذا الموز دون غيره. لأنه ينمو بسرعة ويقبل الناس عليه. ويمكن أن ينطبق هذا على البندورة إذا رغبت. وأشار كار إلى أن جامعة كورنيل بنيويورك تجري أبحاثاً على أغذية معدلة وراثية للحصول على أدوية للبشر.

المكسرات تقي من أمراض القلب

وجد باحثون في ولاية بنسلفانيا الأميركية بعد مراجعة أكثر من ١٥ دراسة طبية أن تناول أوقية واحدة من المكسرات المتنوعة خمس مرات في الأسبوع يقلل الإصابة بأمراض القلب بنسبة تتراوح من ٢٠% إلى ٣٠% وعلى عكس الاعتقادات السائدة حول ضرر هذه المواد الغذائية، ويعزو الباحثون السبب في ذلك إلى وجود العددي من العناصر التي تساعد على خفض الكوليسترول مثل الأحماض الدهنية غير المشبعة والفيتامينات المضادة للتأكسد والمعادن والألياف والدهون الحميدة إلى جانب مركب (ريزفيراترول) المقاوم للسرطان.

خس بجينات العنب

إذا كان التنوع وسيلة للحصول على الطعام الصحي، فإن تعزيز المواد الغذائية في صنف واحد من الطعام يشتمل على العددي من الفوائد، ومن هنا خطرت فكرة للباحثين السنغافوريين لإضافة جينة جديدة مستخلصة من العنب الأحمر إلى أوراق الخس الأحمر، وتعمل على رفع مستوى الكوليسترول الجيد وتقلل من الكوليسترول

الضار في الدم، ويمكن أن تقي من السرطان، ومن المتوقع أن يباع النوع الجديد من الخس في الأسواق خلال العام المقبل.

الإبر الصينية تساعد مرضى القلب

يحاول الطب الحديث وضع أسس علمية لطريقة الوخز بالإبر الصينية، وفي هذا الإطار أجرى باحثون في جامعة كاليفورنيا دراسة ترأسها اختصاصي القلب البروفيسور جون لونغهيرست، كانت عبارة عن غرس مجموعة من الإبر قرب العصب الأوسط الذي يتصل مع جزء من الدماغ يؤثر في وظائف القلب والأوعية الدموية، وعندما أرسل الباحثون شحنة كهربائية خفيفة عبر هذه الإبر، أطلق الدماغ مجموعة من المواد الكيميائية التي تشتمل على الإندورفين والانتكيفالين، وهي من المواد الطبيعية المسكنة للألم في الدماغ، وتساعد أيضاً في خفض ضغط الدم، ما يؤكد فوائد الإبر الصينية لمرضى القلب.

طرائف

سأل القاضي المجرم قبل إعدامه: ماذا تريد قبل أن تعذب؟ فأجاب أريد عنقود عنب، قال: ولكن هذا ليس موسم العنب، فرد على الفور: وما الداعي للعجلة، انتظر موسم العنب!

نظر رجل إلى امرأته وهي صاعدة في السلم فقال لها: انت طالق إن صعدت وطاق إن نزلت وطاق إن وقفت.

فمرت نفسها على الأرض. فقال لها: فداك أبي وأمي إن مات الإمام مالك، احتاج إليك أهل المدينة في أحكامهم!

شكت زوجة زوجها للطبيب، فقالت له: دكتور زوجي يتكلم وهو نائم، فماذا أفعل له؟ فقال الدكتور: أعطية فرصة لكي يتكلم في النهار.

أوائل

- أول حادث سجل لكارثة طيران تجاري وقع عام ١٩٢٠ في ضاحية (غولدرز غرين) شمال لندن.
- أول من انتج حاملة طائرات كانت البحرية اليابانية وذلك في عام ١٩١٩.
- أول رحلة جوية نقلت المسافرين بسرعة فاق (سرعة الصوت) قامت بها الخطوط الجوية البريطانية عام ١٩٧٦، وكذلك قامت في نفس الوقت شركة (إير فرانس) برحلة بين باريس والريو دي جانيرو وفي الرحلتين تم استخدام طائرة الكونكورد.

إحصاءات

وظائف مفقودة في بريطانيا عام ٢٠٠١

القطاع	عدد الوظائف
التكنولوجيا	١٤٩٢٥٠
الاتصالات	٢٢١٦٨٨
الالكترونيات	٨٤٣١٠
الغذاء	٨٠٠٠
الطاقة	٣٠٠٠
الكيمائيات	٢٠٠٠٠
المقاولات	١٠٠٠
الإعلام	٣٥٤٠
البيع القطاعي	٨٤٨٠
السيارات	٢٩٠٠٠
الطيران	١٢٧٦٠٠
السياحة والفنادق	٥٩٠٠
قطاعات أخرى	١٠١٨١٥
المجموع	٨٠٤٠٨٣

أغنى ١٠ مناطق في أوروبا

ليس صحيحاً أن كل أوروبا غنية، كما أنه ليس صحيحاً أن كل المناطق في البلد الأوروبي بنفس المستوى من الغنى.

وتتركز الثروة الأوروبية في غرب القارة، حيث تضم هذه المناطق أكبر ناتج أوروبي. وبين هذا الجدول بالأرقام أغنى ١٠ مناطق في أوروبا، التي يساوي الناتج المحلي لواحدة منها ما تنتجه مجموعة بلدان ما يسمى العالم الثالث!

النتائج المحلي بمليارات اليورو ١٩٩٨	الدولة	اسم المنطقة
٣٦٢,١٢	فرنسا	إيل دو فرانس
٢٢١٨٧	إيطاليا	لومبارديا
١٣٩٨٠	انكلترا	وسط لندن
١٣٥٧٢	ألمانيا	دسلدورف
١٢٤٠٧	ألمانيا	دارمشتات
١٢٣٨٨	فرنسا	رون - ألب

لاتسيو	ايطاليا	١٠٨٧٤
قطالونيا	اسبانيا	٩٩٧٧
مدريد	اسبانيا	٩٠٨٣
ضاحية لندن	انكلترا	٨٨٨٨

ذكر نسب العلوم في القرآن الكريم

عدد الآيات	النسبة المئوية	الموضوع العلمي
٤١٦	٣١,٥	العلوم الطبية
١٣٨	١٠,٥	الفيزياء
١٣٠	٩,٨	علم الأحياء
١٠٥	٨,٠	علم الفلك والفضاء
٩٨	٧,٤	الجغرافية
٨٩	٦,٧	الزراعة
٧٩	٦,٠	الرياضيات والإحصاء
٦٩	٥,٢	علم طبقات الأرض
٥٩	٤,٥	التعلم والبحث العلمي
٣٥	٢,٦	علم البحار والأنهار
٢٨	٢,٠	وسائط النقل
٢٧	٢,٠	أصل الإنسان والمخلوقات الأخرى
١٨	١,٥	الآيات التي تنطبق على جميع العلوم
١٢	٠,٩	الهندسة
١١	٠,٨	الكيمياء
٨	٠,٦	علم لغة الحيوانات والطيور
	١٠٠ في المائة	المجموع